

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA

faculté : des lettres et des langues



جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° :

الرقم:

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص تحليل خطاب)

الوطني والأنتوي في مسرحية مأساة جميلة

لعبد الرحمان الشرقاوي

مقدمة من قبل:

حسيبة لعيادة

تاريخ المناقشة : 2015/06/22

أ. شوقي زقادة	رئيسا	الرتبة: أستاذ مساعد أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة
أ. راوية شاوي	مقررا	الرتبة: أستاذ مساعد أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة
أ. نادية موات	ممتحنا	الرتبة: أستاذ مساعد أ	الجامعة: 8 ماي 1945 قالمة

كلمة شكر

إليك ربي نمنني شكرا، وندفع أيدينا لك حمدا على ما أنعمت به علينا من علم ومعرفة، وكتبت علينا السيرة في درج العلماء الذي لا يدرك شأه إلا من تذوق عسله.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أشكره أنه أنعم علي بإتمام هذا العمل.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى :

من أشرفت علي بعثي ووجهتني إلى التي لم تبخل علي بوقتها ولا بجهدها إلى البحر الذي اخترفت منه علما:

الأستاذة "شامي رابوة" وفقها الله،

الأستاذة: "الزهرة بوشبوط"

أساتذتي بقسم الأدب واللغة العربية.

كل من علمني حرفا.

مقدمة :

كان للثورة الجزائرية صدى كبيرا في الوجدان القومي العربي، وترجم هذا الصدى إلى حضور إبداعي عميق ووفير، في شتى أنواع الكتابة والإبداع الفني والأدبي، كما ألهمت هذه الثورة قرائح الأدباء وفتقت مواهبهم.

وإذا كان الذكر أكثر سندا للثورة الجزائرية، فإن الأنثى هي الأخرى قد قدمت تضحيات ومساندات عدة للثورة، فكانت عامل شحن للشوار والثورة.

كما أسهمت في مقاومة العدو الفرنسي منذ الاحتلال، وذلك بشتى الطرق والوسائل، وفي كل الظروف والأحوال، كانت مقاومتها بارزة وفعالة عبر الثورات العديدة التي عرفتھا الجزائر طيلة الاحتلال، وعلى الرغم من معاناتھا من ظلم الاستعمار وقهره من جهة، ومن الجهل والتخلف والتقاليد البالية التي جعلتها دمية لا دور لها سوى الإنجاب من جهة ثانية، لذلك ليس من الغريب أن تفكر هذه المرأة في الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية منذ الوهلة الأولى، بعد أن اقتحمت عليها هذه الأخيرة بيتها وعزلتها.

والحقيقة أن الثورة الجزائرية قد أعطت بدورها للمرأة الكثير من الدعم، وبالتالي فتحت أمامها الباب واسعا للالتحاق بصفوفها، إيماناً منها بالدور الفعال الذي يمكن أن تلعبه في الكفاح المسلح، ومحاولة منها لتحسينها من الحرب النفسية التي سلطها العدو الفرنسي عليها، قصد عزلها عن حقيقة الوضع الذي يعيشه وطنها، والتأثير عليها ببعض الخدمات الاجتماعية، ومن ثم ضرب الثورة من الداخل وتخفيف مخزونها من الرجال.

ولن تفوت المرأة الجزائرية الفرصة التي منحت لها للوقوف في وجه العدو الفرنسي، على الرغم من مشاركتها الضمنية في الكفاح المسلح بصفتها الأم والزوجة والأخت...، فالتحقت بجيش التحرير الوطني، مقتحمة مجالات مختلفة كانت الثورة في أمس الحاجة لها مثل: التمريض في الجبال، وتفجير القنابل والغذاء وغيرها.

ومن هنا أصبحت بطولات الثورة وشخصياتھا رمزا ومنارة للتاريخ الجزائري، ومصدر إلهام للمبدعين يستلهمون منها العبرة والاقتداء، حيث أخذ الأدباء يصورونها -الأنثى- ويجسدونها بمختلف الصور

والأخيلة، حتى أصبح لزاما عليهم أن تمتزج الأنثى بالوطن، وتختصر بالشكل الكامل لتخرج إلينا في أبهى حلة، ولذلك ارتأينا في هذا المقام أن نبين حقيقة هذه العلاقة التاريخية والأدبية، من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة والإشكالات الجوهرية التي شكلت موضوع البحث كان من أهمها:

✍ كيف صور الشرقاوي الأنثى في مسرحية مأساة جميلة؟

✍ ما مفهوم الأنثى؟

✍ كيف كانت نظرة الثقافات إلى الأنثى؟

✍ ما العلاقة بين الأنثى والوطن؟ وكيف كانت نظرة الأدباء إلى الأنثى في أعمالهم المسرحية؟

للإجابة عن هذه الإشكاليات، قمنا بهذا البحث المتواضع المدعم ببعض العناصر والموضوعات التي تخدمه، وهو "الوطني الأنثوي" في مسرحية "مأساة جميلة" لعبد الرحمن الشرقاوي، وحاولنا الخوض بعض الشيء للوصول إلى الخبايا التي شكلت من الأنثى والوطن قيمة فنية رائعة.

أما سبب اختيار هذا الموضوع هو الذكرى الواحدة والستون للاستقلال الجزائر، والهدف منه هو تمجيد التاريخ الجزائري وأبطاله، وترسيخه في ذاكرة الأجيال، كما يعود لهم الفضل في استرجاع حرية الجزائر وكرامتها، وكذلك لإبراز دور المرأة والرجل ووقوفها إلى جانب الثورة وفي صفوفها لذا يستحقون كل الشكر والعراف والتقدير، وكذلك حتى لا ننساهم ولا ننسى فضلهم علينا، بالإضافة إلى حيي ورغبتني في مثل هذه المواضيع لإحياء تاريخنا وثورتنا عبر الأجيال، ولكي يبقى الأبطال والتاريخ أحياء لا يموتون، وفي سبيل ذلك كله اتبعت خطة منهجية بعد أن اكتملت لدي حوصلة عامة عن الموضوع وبعد جمع المادة العلمية وقراءتها وتصنيفها وربطها بالموضوع (الوطني والأنثوي) فكانت خطته كالآتي:

✓ مقدمة ممهدة للموضوع.

✓ المدخل تحت عنوان بين الأنوثة والذكورة (المرأة والرجل).

✓ كما قسمت البحث إلى فصلين.

الفصل الأول نظري عنوانه **صورة الأنثى في الثقافات**، وقد تضمن في طياته الأنثى في الثقافة الغربية وخاصة في التوراة والإنجيل، بالإضافة إلى الدراسات الغربية، أما الأنثى في الثقافة العربية تمحور مفهومها في: القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى التراث العربي والدراسات الأدبية.

أما الفصل الثاني فهو تطبيقي بعنوان **الوطني والأنثوي في مسرحية مأساة جميلة**، تطرقت فيه إلى دراسة الشخصية من خلال مسرحية "مأساة جميلة" لعبد الرحمان الشرقاوي والذي يبرز دوره البعد الأنثوي والوطني في المسرحية.

وبما أن لكل بحث علمي منهج خاتمة بمثابة حوصلة لما توصل إليه، فقد خلصت إلى مجموعة نتائج تضمنتها الخاتمة.

كما تم بناء هذا البحث وفق **المنهج السيميائي**، وذلك كونه المنهج الأنسب لدراسة شخصيات المسرحية، ولقد اعتمدت في هذا على مجموعة من المراجع أذكر منها:

➤ كتاب العهد الجديد.

➤ منير الحافظ، الجنسانية وأسطورة البعث.

➤ بيدبا، كليلة ودمنة.

➤ نزار قباني، الأعمال السياسية الكاملة.

➤ مازن مطبقاني، صورة من حياة المرأة في الغرب.

ومن الطبيعي أنه لا يخلو أي عمل من صعوبات وعراقيل، كقلة المصادر والمراجع لاسيما تلك التي تناولت ثنائية الوطن والأنثى، بالإضافة إلى شساعة الموضوع وضيق الوقت للإمام بجل جوانبه، وعلى الرغم من ذلك فقد تسلحنا بالشجاعة والروح العلمية، مع تشجيعات أساتذتنا الأفاضل لمواصلة العمل الدؤوب حتى اكتمل بهذه الصورة.

وفي الأخير أرجو أن يكون بحثنا دليلاً ينير طريق الحقيقة، واليقين لكل من يرجع إليه طالباً للاهتمام والمعرفة وحب العلم والتعلم.

مدخل:

بين الأنوثة والذكورة

- 1_ الأنثى في المعاجم.
- 2_ الأنثى عند الفلاسفة
- 3_ الأنثى في علم النفس
- 4_ الأنثى في علم الاجتماع
- 5_ الأنثى والسياسة
- 6_ التكامل الواعي بين الأنثى والذكر

بين الأنوثة والذكورة:

تمهيد:

يشكل كلّ من الأنثى والذكر عنصراً واحداً أو جسداً واحداً فالأنثى تجد مكملاتها في الذكر والعكس صحيح فكلّهما يحتاج إلى الآخر، وهذا لا يعني عدم وجود فوارق بينهما من حيث الطبيعة الجسدية الفيزيولوجية وكذا السيكلوجية.

ورد عند علماء اللغة الأوائل في «معجم العروس للزبيدي في مادة (أ ن ث) : أن المرأة إنما سميت أنثى من البلد الأنثى، وأصل هذا الباب كما يقول ابن سيده: هو الأنثى الذي هو اللبّ، ولذلك سميت الأنثى بذلك لينها في مقابل الشدة المنسوبة للذكورة»¹.

وليست المسألة مجرد تصنيف معجمي لغوي، ولكنها تمتد إلى النظرة إلى المرأة بوصفها الجسد، حتى أننا نجد ابن عربي في كتابه الرسائل يقول: «كل مكان لا يؤنث لا يعول عليه»²، وهذا انطلاقاً من نظرة الأعم للصوفي للمرأة، حيث تكاد تكون بؤرة العالم المادي والروحي معاً.

أما نظرة السورباليين إلى المرأة وعلاقاتهم بها تكون أشد الارتباط بالأرض فنجد أدونيس في كتابه الصوفية والسوربالية يقول: «لا نحب الأرض إلا من خلال المرأة والأرض بدورها تحبنا»³.

¹ _ نقل عن فاطمة عبد الله الوهيني: المكان والجسد والقصيدة: المواجهة وتحليلات الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص19-20.

² _ المرجع نفسه: ص ن.

³ _ المرجع نفسه: ص ن.

1_ الأنثى في المعاجم:

أُنْثَى: الْأُنْثَى: هي خِلافُ الذَّكَر من كل شيء (ج) إِنْاثٌ¹.

أُنْثَ: الْأُنْثَى: خلا ف الذكر من كل شيء، والجمع إِنْاثٌ.

وَأُنْثٌ: جمع إناث كحمار وحمز وفي التنزيل العزيز: إذ يدعون من دونه إلا إناثا، وقرئ: إلا أُنْثًا، جمع إناث، مثل ثمارٍ وثمر، ومن قرأ إلا إناثا، قيل: أراد إلا مَوَاتًا مثل الحَجَر والحَشَب والشَّجَر والموات، كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث، ويقال للموات الذي هو خلاف الحيوان: الإناث، الفراء: تقول العرب: اللَّائِثُ والعزى وأشباهاها من الآلهة المؤنثة، وقرأ ابن عباس: إن يدعون من دونه إلا أُنْثًا، قال الفراء: هو جمع الوثن، فضم الواو وهمزها، كقولنا: وإذا الرسل أُقْتَتَ.

وَالْمُؤَنَّثُ: ذَكَرٌ في خَلْقٍ أُنْثَى، والإناث: جماعة الأنثى ويحي في الشعر أنثى، وإذا قلت للشيء تُؤَنِّثُهُ، فالنَّعْتُ بالهاء، مثل المرأة، فإذا قلت يؤنث، فالنعت مثل الرجل بغير هاء، كقولك مؤنثة ومؤنث².

ويقال للرجل: أَتَنَّثُ تَأْنِثًا أي لِنْتُ له ولم تَتَشَدَّد، وبعضهم يقول: تَأَنَّثْتُ في أمره وَخَنَّثْتُ.

وَالْأَنِثُ مِنَ الرِّجَالِ: الْمَخْنُثُ، شَبَّهَ الْمَرْأَةَ، وَقَالَ الْكَمِثُ فِي الرَّجُلِ الْأَنِثُ: وَشَدَّبَتْ عَنْهُمْ شَوْكَ كُلِّ قَتَادَةٍ بِفَارَسٍ، يَخْشَاهَا الْأَنِثُ الْمُعَمَّرُ، وَالتَّأْنِثُ: خِلافُ التَّذْكِيرِ وَهِيَ الْأُنَاثَةُ.

ويقال: هذه امرأة أنثى إذا مدحت بأنها كاملة من النساء، كما يقال: رجل ذكر إذا وصف بالكمال. ابن السكيت: يقال: هذا طائر وأنثاه، ولا يقال: وأنثاته. وتأنيث الاسم: خلاف تذكيره، وقد أُنْثَتْهُ، فَتَأَنَّثَ³.

أُنْثَ: أُنْثَوَةٌ وَأُنَاثَةٌ: لان، فهو أُنِثَ.

(أَنْثَ): الحامل إناثا: ولدت أنثى، فهي مُؤَنَّثٌ.

(أُنْثَ): في الأمر: لان ولم يَتَشَدَّد، والكلمة ألحق بها علامة التأنيث.

¹ علي بن هادية وآخرين: القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب_الجزائر، ط7، 1991م-1411هـ، ص109.

² ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر-بيروت، لات، د.ط، مج2، حرف التاء المثناة، فصل الألف، ص112.

³ ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص113.

(تَأْنَتْ): مطاوع أنثه، و_لان ولم يتشدّد.

يقال: تَأْنَتْ له في الأمر، وتشبه بالأنثى.

وامرأة أنثى: كاملة الأنوثة (ج) إناث وأنثى.

الأنثيان: الخصيتان والأذنان.

يقال: ضربه تحت أنثيه.

الأنيث: يقال حديدٌ أنيث: غير صلب.

وسيف أنيث: لَيِّن ومَكَان أنيث: سَهْلٌ مِنبَاط

ورجل أنيث: لَيِّن الكلام، مُتَكَسِّر الأعضاء.

المئنات: صيغة مبالغة التي من عادتها ولادة الإناث.

ويقال أيضا: رجل مئنات.

و_من الأرض: السَّهْلَةُ الكثيرة الإينات.

و_من السيوف: اللَيِّن (ج) مَآنيث.

(المؤنَّثُ) من الرجال: من يشبه الأنثى.

و_من الطيب: ما تتطيب به النساء مما يترك لونا كالزعفران¹.

أَنْثَ_ (أَنْثَ وَأَنْثًا) الحديد: لان فهو (أنيث).

مَكَانُ أنيث: سريع النبات، سيف أنيث: ليس بقاطع.

(أَنْثُهُ): جعله مؤنثا عده أنى.

أَنْثَ لَهُ: لان وتساهل.

(آنَثْتُ إيناثًا) المرأة: ولدت أنثى فهي (مؤنث).

¹ _إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الصوة_الجزائر، دط، لات، ج1، ص29.

(تَأَنَّثَ): صار مؤنثاً أو أنثى_له: لان وتراخى.

(الأنثى): خلاف الذكر (ج) إناث وأنثى وجج أنث.

(المؤنث) خلاف المذكر: الرجل المشبه المرأة في لينه وتكسر أعضائه.

(المِئَنَاتُ): التي اعتادت أن تلد الإناث وكذلك الرجل لأفهما يستويان في مفعال ويقابله المذكر وهي التي تلد الذكور كثيراً¹.

من خلال ما سبق، دار مفهوم الأنثى في المعاجم على أنها خلاف الذكر من كل شيء.

2_ الأنثى عند الفلاسفة:

تعددت واختلفت وجهات النظر عند الفلاسفة اتجاه الأنثى، حيث نجد الفيلسوف المعاصر جاستون باشلار يرى أن النص الإبداعي ما هو إلا نتاج مبدأ أنثوي في داخل الإنسان في أغوار الذات التي تحلم وتغني وتخلق وتبدع بفضل "الأنثى" الجانب المؤنث من شخصية الإنسان في مقابل "الأنثوس" الجانب المذكر فيها.

وهو في موقفه هذا يربط حالة الإبداع "بالأنثى"، وخاصة في كتابه عن "شاعرية أحلام اليقظة"، ويرى فيه أن الأنثى ليست ضعفاً وأن لها قواها الخاصة، وأنها المبدأ الداخلي للراحة، فالأنثى في نظره عامل تنفيس، وكشف لباطن وخبايا العديد من المبدعين.

كما يربطها بحالة الإبداع والتخيل والغناء وبين الأنثى لحظة الإبداع واللحظة الشعرية إذ يقول: «إنها أنثى التي تحلم وتغني، الحلم والغناء هذا هو عمل وحدتها...»².

وعليه فإن سر سيروية واستمرار موضوع التخيل هو اتكاء كل من المبدع والمتلقي كليهما على الأنثى، الجانب الأنثوي في أية شخصية إنسانية.

كما أطلق كذلك يونج مصطلح الأنثى (anima) على العنصر المؤنث، والأنثوس (animus) على العنصر المذكر في النفس الإنسانية سواء كانت رجلاً أم امرأة، "فالأنثى

¹ -فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق-بيروت، ط43، لات، ص14.

² -عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية المؤسسة العربية لدراسات والنشر-بيروت، ط1، 1984م، (مادة ن ف س) ج2، ص506.

والأنيموس" يمثلان الشخصية الخارجية، وحيث أن صيغة المذكر (الأنيموس) تعني مبدأ التفكير والجانب العقلائي فإن (الأنيميا) تعني مبدأ الحياة ومقر الوجدانات ومكان الذات المبدعة حال الإبداع والخلق الفني خاصة.

"واللفظ نفس" «سواء في العربية وفي اليونانية واللاتينية وما انحدر منهما من لغات... مأخوذ من التنفس، هبوب الريح، فالكلمة اللاتينية المناظرة (anima) مأخوذة من الكلمة اليونانية... ريح»¹.

وللنفخ والريح علاقة وطيدة بالخلق والتجسيد التي ترددت كثيرا في النصوص القرآنية. وعليه فإن ملكة الإبداع عند المبدعين تتكئ هي على الأنيميا الجانب الأنثوي من الشخصية الإنسانية، وهذا ما يفسر أقوال كثير من الشعراء بوعي أو بدون وعي حينما يصفون حالات إبداعهم ومراحل نمو القصيدة في ذواتهم بتعبيرات عن حالة من حالات الاحتواء الجنينية الأنثوية الأمومية.

وهذا ما يدل بشكل أو بآخر على أن المرأة عامل وحافز ودافع لإبداع العديد من الشعراء. نجد كذلك الفيلسوف إدكار موران يقول في شأن الأنثى يقول: «الغير في نفس الوقت الشبيه والغير الشبيه شبيه بمعاملة الإنسانية أو الثقافية المشتركة والغير الشبيه بفردياته الشخصية أو اختلافاته القبلية الآخر يحمل فعلا في ذاته الغرابة والمشابهة»².

3- الأنثى في علم النفس.

للرجل ما يميزه من سمات وصفات وخواص، والأنثى أيضا تمتلك صفات تميزها تماما عن الرجل، فمن الممكن أن يتميز الرجل _بوجه عام_ بالمقارنة مع الأنثى، بارتفاع مستوى الطموح مع رغبة في القوة والسيطرة، في حين تتميز الأنثى _غالبا_ بالركة وسرعة التأثير الانفعالي مع الابتعاد عن العنف والخشونة بالنسبة للرجال بوجه عام، وعليه نطرح السؤال الآتي: ما مفهوم الأنوثة عند علماء النفس؟

الأنوثة نزعة نحو الاتجاه الأنثوي ممثلة في أنماط الاهتمامات الأنثوية، وقد يشترك في بعضها الذكر أيضا كالعنف ولحنان مثلا، ويمكن اعتبار الأنوثة والذكورة متصلان كيميا، حيث تشملان العديد من

¹ _عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق ص506.

² _محمد داود : الرواية الحديثة، كتابة الآخر والهنالك، منشورات 2006، د ط، د ت، ص23.

الصفات بداية من الأنوثة في المفهوم البيولوجي، ثم الميل العاطفي، والاطلاع على القصائد الشعرية والعاطفية، وخصوبة الخيال وانتهاء بصفات الذكورة مثل الخشونة والعنف، القسوة وغيرها من صفات تميز الذكر¹.

ووفقا لهذا المفهوم الذي يعتمد على المقياس الفرعي للذكورة والأنوثة، فهو في معظم الأحوال يشترك في لفظ الشخصية، الذي يشترك كل من الإناث والذكور في بعض هذه السمات.

4_ الأنثى في علم الاجتماع:

يرى علماء الاجتماع: « أن للأنثى (المرأة) دورا حتميا وفعالا اتجاه قضايا المجتمع المطروحة كالانحراف، وتنشئة الأطفال وتربيتهم... وغيرها، لذا يصفها معظمهم الطرف الأخرى في المجتمع والشريك الثاني، بالإضافة إلى دورها الهام داخل الأسرة المتمثل في التربية والأخلاق وتوجيه السلوك وتنمية المعارف، ودورها كذلك خارج الأسرة في الحياة العامة سواء من خلال دورها الوظيفي الرسمي أو من خلال مؤسسات المجتمع المدني المختلفة»².

ولذا شهدت الأنثى تواجدا مكثفا داخل المجتمع نظرا لدورها الهام في بنائه.

إذ يرجع حرية المرأة إلى تبعية الرجل فمهما علت فيها تابع لسلطته.

في حين نجد محي الدين صبحي يقول: «لكي أظهر لك أن قضية تحرير المرأة مزيفة، أحيلك إلى النساء المثقفات ألا ترى أن المرأة العربية المثقفة لا تجعل من تحرير المرأة قضيتها؟ دعني أرسم... إنها تبدأ سيرتها في الحياة العامة بنشر بعض الشعر المنشور ثم تتطور فتكتب بعض القصص القصير ورواية متوسطة الحجم والقيمة وقد تكتب بعض المقالات...، فإذا حققت لنفسها مركزا مرموقا وحصلت على زوج متميز، استمرت وضعها وتحولت إلى سيدة صالون»³.

¹ _ مایسة أحمد النیال: فی سیکولوجیة المرأة، دار المعرفة الجامعیة، بیروت، 2002، ص 103.

² _ حسن حسین: المرأة وقضايا مختلفة، دار مكتبة الإسرائ، بیروت، ط1، 2006، ص6.

³ _ معن خلیل عمر: علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، ط1، 1994، ص182.

يبرز هذا القول أن المرأة تصنع نفسها بنفسها، خطوة بخطوة، وهو لا يهتم بها في المجال الأدبي لأنها تبدأ مزيفة من لا شيء لتصنع شيء لهذا فهو، يشير إلى أن المرأة عنصر فعال عملت على ترقية نفسها أولاً، وتطوير المجتمع ثانياً، فهي لا تسعى وراء تحرير المرأة إنما تسعى لإثبات وجودها كمرأة. في حين ربط علماء النفس الأنثى بالاهتمام بالمظهر والإحساسات الداخلية أما علماء الاجتماع جعلوا منها محور المجتمع.

5_الأنثى والسياسة:

ارتبط دور المرأة بالسياسة بعد حركة الإصلاح التي تزعمها دعاة الفكر الاجتماعي، وقد شاركت المرأة في ثورة 1919 وكانت رائداتها **هدى شعراوي** التي كانت ترغب في نشر الوعي الصحي والاجتماعي وركزت جهودها على المرأة.

وبعد ثورة 1919 (ثورة مصر) تقف المرأة عن المشاركة السياسية التي تعتبر بداية لانطلاقتها السياسية المتلاحقة فيما بعد وظهر هذا الوعي السياسي لدى المرأة بأشكال مختلفة سواء كان بإنشاء الجمعيات النسائية مثل: جمعية الاتحاد النسائي ونهضة السيدات المصريات والأخوات المسلمات وجمعية أمهات المستقبل أو الشابات المصريات...، أو بعقد المؤتمرات المحلية والدولية.

في إطار الظروف السياسية يبرز ويتضح الارتباط الوثيق بين قضية المرأة وقضية الوطن في إظهارها لموقفها ودورها واتجاه القضية الفلسطينية.

لكن ارتباط قضية المرأة بقضية الوطن منذ وقت مبكر¹.

لكن في الآونة الأخيرة أصبح من الطبيعي والمعتاد أن تعاني المرأة أكثر مما يعاني الرجل فقسوة المعاملة وقهر النظام على أساس أن تركيبها البيولوجي قد حدد لها وضعاً ثانوياً، إذ أصبحت الأنوثة تابعة للرجولة وتقف عائقاً أمام كيان المرأة الإنساني على أن مستوى من المستويات الاجتماعية السائدة، كما أن ما تنهض به المرأة من أعباء الرجل الذي تقتصر مسؤوليته على استمرار الدخل المادي في حين تقوم المرأة بثلاث مسؤوليات معروفة :

¹ _ أمل التميمي: السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء _ المغرب، ط1، 2005، ص161.

الحمل، إعداد الطعام، الحفاظ على الأسرة حتى لا ينهار كيانها وفي الوقت نفسه عليها أن تتحمل مطالب الرجل الجنسية في أي وقت حتى وإن لم تكن في حاجة إليها. هذا بالإضافة إلى حرمانها من أبسط حقوق كإبداء الرأي سواء فيما يتعلق بشؤون الأسرة أو فيما يتصل بالمسائل العامة¹.

6_ التكامل الواعي بين الأنوثة والذكورة:

قد حقق الوعي الفطري الأنثوي وجودا بدائيا تلقائيا، إلا أن الوعي الذكوري الحكيم حقق وجودا متطورا بالقوة، ولم تحقق الذكورة ذاتها إلا عبر الأنوثة ولم تحقيق الأنوثة ذاتها إلا عبر الذكورة، وعرض يونغ إلى بيان محاولة سعي الأنثى إلى تحقيق ذاتها عبر **الأنيموس** الذكري والذكر عبر **الأنيميا** الأنثوية.

يشكل كل من الأنثى والذكر ثنائية عجيبة، فلا تتحقق ذاتية الأنوثة إلا بحضور ذاتية الذكورة وهكذا بالنسبة للذكر، إنهما يمثلان وجهان لعملة واحدة، لا يمكن استقلالية الواحد فيهما عن الآخر.

يتضح بشكل أكبر هذا التكامل في نظام الحكم الأسري الذي كان سائدا قديما حيث كانت السلطة في الأول إلى المرأة فسعت الذكور إلى تحرر من ارتكان التقليد الأموي، لكن هذا الأمر بدوره أوقع المرأة في ارتكان التقليد الأبوي، وراحت الذكورة تكافح بحمية من أجل نيل حريتها وإنجاز كل ما من شأنه أن يعزز تسيده من تقاليد وشرائع وتعاليم بوصفها قيما جمالية، وولوجه جنة الأبوة انتصار فضيل وتطهير من خطيئة الأمومة، ليتسامى إلى ورع الأبوة غير أنه كان انتقالا بائسا من خطيئة الأبوة، فأى منهما المتحرر ترى؟.

وبالتالي فإنه لا توجد حرية منفردة لا هي للمرأة ولا هي للرجل فكلهما يكمل الآخر وكلاهما يحتاج للآخر وقيادة الأسرة تحتاج إليهما معا، فلا تتحقق بواحد منهما ونماها معا².

¹ _ نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر _ لونجمان _ ، ط1، 2003، ص651.

² _ منير الحافظ: الجنسية أسطورة البدء المقدس، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، سورية_دمشق، ط1، 2008 ص9_10.

الفصل النظري:

صورة الأنثى في الثقافات

أولاً: في الثقافة الغربية.

1_ في الديانات السماوية.

2_ الأنثى في الدراسات الغربية.

ثانياً: في الثقافة العربية.

1_ الأنثى في القرآن الكريم

2_ الأنثى في السنة النبوية

3_ الأنثى في المحكي الشعبي

4_ في الدراسات العربية

صورة الأنثى في الثقافات

أولا : في الثقافة الغربية:

1_ في الديانات السماوية:

يقف المتأمل في أحكام الشرائع السماوية في التوراة والإنجيل على اختلاف بين وتنوع في الأحكام والعقوبات، حيث تتراوح هذه العقوبات بين الشدة والاعتدال والليونة، وخاصة النظرة إلى المرأة التي مازالت ولا تزال تبحث لها عن مكان لائق في الديانات _ماعدا الإسلامية_، فيا ترى كيف كانت تلك النظرة؟ وما هي أسباب ذلك؟.

أ_ الأنثى (المرأة) في التوراة:

1_ حكم النفساء في التوراة:

ورد في سفر لاويين في الإصحاح الثاني عشر ما يلي: « وكلم الرب موسى قائلا كلم بني إسرائيل قائلا إذا حبلت امرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمئتها تكون نجسة وفي اليوم الثامن يختن الولد لحلم عزلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها، كل شيء مقدس لا تمس وإلى المقدس لا تجيء حتى تكمل أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمئتها، ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها »¹.

تكون مدة نفاس المرأة التي ولدت ابنا أربعين يوما، أما التي ولدت بنتا تكون مدة نفاسها حوالي ثمانين يوما ثم تغتسل وتطهر.

2_ حكم الحائض في توراة عزرا:

جاء في سفر لاويين في الإصحاح الخامس عشر ما يلي: « وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها في لحمها فسبعة أيام تكون في طمئتها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجسا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسا، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء، وكل من مس متاعا تجلس عليه يغسل

¹ _ محمد علي حسن: الخلاف بين التوراة والقرآن، دار المعرفة للنشر، دط، دت: ص 33.

ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء، وإن كان على الفراش أو المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجسا إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا»¹.

تكون مدة انقطاع أزواجهن عنهن أربعة عشر يوما في كل شهر، ثم الثياب والأمتعة إذا تلطخت بالدم لا تطهر بغسلها بالماء فقط بل يجب قرضها بالمقراض وإزالتها من الثياب ثم ترقيعها. وبسبب هذا، كانت المرأة الحائض تنفى أحيانا لتجنب أي تعامل معها، فكانت ترسل إلى بيت يسمى "بيت الدناسة" طوال فترة الحيض.

3_ الزنا:

أما حكم الزنا في التوراة: رغم أن الزنا محرم في الشريعة اليهودية، حيث ورد في الوصايا العشر "لا تزني"، وأوردت التوراة عقوبات شديدة على من فعل الزنا، إلا أن هذا التحريم والعقوبات الشديدة لم تمنع من انتشار الزنا في بني إسرائيل، حيث أن القصص الغرامية والفسق والفجور تملأ صفحات أسفار العهد القديم.

ويلاحظ أن الأحكام المتعلقة بالزنا، تركز على المرأة دون الرجل، لأن في تطبيق الأحكام يقول: غوستاف لوبون عن هذه الظاهرة: «وزنا المرأة كان المقصود دون الرجل، لأن باستطاعة الرجل أن يتزوج بالعدد الذي يرغب فيه من الزوجات الشرعيات، وما كان الرجل يعد مجرماً إلا إذا زنى بفتاة أو امرأة متزوجة فهناك يقتل»².

وفي كل الأحوال كانت المرأة يحكم عليها بالموت إذا زنت، وإن كان هناك شكوك حولها، أو إتهام لها، ولم يكن هناك شهود فإنها تخضع لامتحان صعب، بحيث تتجرع المياه الملوثة بالتراب على يد الكاهن، بعد إجراء طقس يصب فيها اللعنات، أما الرجل فما كان القانون يعاقبه إلا في حالة مباشرة

¹ _ محمد علي حسن: الخلاف بين التوراة والقرآن، مرجع سابق، ص 33.

² _ فتحي جوهر فرمزي: مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (15/2)، المجلد الثامن، 1435هـ-2014م.

امرأة متزوجة وعقوبته الموت والتي كانت بسبب الاعتداء على حقوق زوج آخر، وليس بسبب إهانة المرأة وإهدار كرامتها.

وأما إذا كانت المرأة غير يهودية، فالأمر مختلف تماما إذ أن غير اليهود إباحيون.

وبناء عليه ففعل الزنا ينطبق على اتصال يهودي بامرأة غير يهودية، بل يعتبر التلمود هذا الاجتماع خطيئة، كالعلاقة الجنسية مع الحيوان.

أما عقوبة الفتاة البكر المخطوبة في التوراة فتتجلى في: «إذا كانت فتاة بكر مخطوبة لرجل، فصادفها رجل في المدينة فضاجعها... فارجموها بالحجارة حتى الموت»¹ وبهذا يجعل الشرع اليهودي من القتل أيسر الوسائل.

4_ ميراث المرأة المتزوجة في التوراة: جاء في العدد 35، 36:

«وتقدم رؤساء عشيرة حلهاد بن ماكير بن منسى من عشائر سبط يوسف وقالوا لموسى وقادة أسباط إسرائيل أمر الرب سيدي أن توزع الأرض بالقرعة بين بني إسرائيل، كما أمره الرب أن يعطي نصيب صلفحاد أخينا لبناته. فإذا تزوجن من غير سبطنا فإن نصيبهن يؤخذ من ميراث آبائنا، ويضاف إلى نصيب السبط الذي تزوجن منه، فينقص ميراثنا. ومتى حل يوبيل بني إسرائيل فإن الميراث يضاف إلى نصيب السبط الذي تزوجن منه، وبالتالي يؤخذ نصيبهن من ميراث سبطنا»².

فأوصى موسى بني إسرائيل بمقتضى أمر الرب قائلا: «بحق نطق رؤساء سبط بني يوسف. وهذا ما أمر به الرب بشأن بنات صلفحاد: ليتزوجن من سبط آبائهن، فلا يتحول ميراث بني إسرائيل من سبط إلى آخر، بل يظل كل سبط محتفظا بميراث آبائه. فكل فتاة ورثت نصيبا من سبطها، تتزوج واحدا من أبناء عشيرة سبط أبيها، لكي يرث كل واحد من بني إسرائيل نصيب آبائه. فلا ينتقل ميراث سبط إلى سبط آخر، بل يظل كل سبط محتفظ بميراثه»³.

¹ _ فتحي جوهر فرمزي : مرجع سابق، ص9.

² _ كتاب المقدس (كتاب الحياة): ترجمة تفسيرية، ط1، 1988، ص226 المرجع نفسه: ص ن.

³ _ المرجع نفسه: ص ن.

5_ شريعة المرأة الاسيرة في التوراة: جاء في التثنية من (20 إلى 21):

«إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم، وأظفركم الرب إلهكم بهم، وسبيتم منهم سبيا، وشاهد أحدكم بين الأسرى امرأة جميلة الصورة فأولع بها وتزوجها، فحين يدخلها إلى بيته يدعها تحلق رأسها وتقليم أظافرها، ثم ينزع ثياب سبيها عنها، ويتركها في بيته شهرا من الزمان تندب أباه وأمه، ثم بعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة فإن لم ترقه بعد ذلك، فليطلقها لتذهب حيث تشاء لا يبيعها بفضة أو يستعبدتها، لأنه قد أذلها»¹.

«إذا ضبطتم رجلا مضطجعا مع امرأة متزوجة تقتلونهما كليهما، فتزعمون الشر من وسطكم. وإذا التقى رجل بفتاة مخطوبة لرجل آخر في المدينة وضاجعها فأخرجوهما كليهما إلى ساحة بوابة تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، لأن الفتاة لم تستحث وهي في المدينة، والرجل لأنه اعتدى على خطيئة الرجل الآخر، فتستأصلون الشر من وسطكم. ولكن إن التقى ذلك الرجل بالفتاة المخطوبة في الحقل، وأمسكها وضاجعها، يرمم حتى الموت وحده ويموت، وأما الفتاة فلا ترمم، لأنها لم ترتكب خطيئة جزاؤها الموت، بل تكون كالرجل الذي هاجمه الرجل وقتله، لأنه لا بد أن تكون الفتاة المخطوبة قد استغاثت في الخلاء حيث وجدها الرجل، فلم يأت من ينقذها»².

وإذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها وضاجعها وضبطا معا، يدفع الرجل الذي ضاجع الفتاة خمسين قطعة من الفضة ويتزوجها، لأنه قد اعتدى عليها، ولا يقدر أن يطلقها مدى حياته، ولا يتزوجها أبدا»

7_ أحكام ضد الإساءة إلى شرف العروس جاء في التثنية 22: أنه

«إذا تزوج رجل من فتاة، ثم بعد أن عاشرها أبغضها، واتهمها بما يشينها، وأشاع عنها ما يسئ إلى سمعتها قائلا "لقد تزوجت هذه المرأة، ولما عاشرتها، اكتشفت أنها لم تكن عذراء" يأخذها والدها إلى شيوخ المدينة المجتمعين في ساحة القضاء، ويعرضان دليل عذراوتها.

¹ _ الكتاب المقدس: مرجع سابق، ص 256.

² _ المرجع نفسه: ص ن.

ويقول والد الفتاة للشيخ: لقد زوجت هذا الرجل من ابنتي فأبغضها. وهما هو يروج عنها أخبارا قائلا: لم تكن ابنتك عذراء عندما عاشرتها. ولكن هذا هو دليل عذراوية ابنتي". ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدّبونه، ويفرضون عليه غرامة مقدارها مئة قطعة من الفضة، يعطونها لأبى الفتاة، لأنه أساء إلى سمعة عذراء من إسرائيل، فتكون له زوجة مدى حياته، لا يقدر أن يطلقها.

ولكن إن ثبتت صحة التهمة، ولم تكن الفتاة عذراء حقا، يؤتى بالفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها ارتكبت قباحة في إسرائيل، وزنت في بيت أبيها وبذلك تستأصلون الشر من بينكم»¹.

خلاصة: نخلص في الأخير إلى أن المرأة لدى اليهود في التوراة ما هي إلا لعنة ينبغي التحرر منها والابتعاد عنها وعدم ائتمانها على سر أو أمر عيدهم، وقد جاء في التوراة تحذيرا منها في إحدى القصص: «المرأة أشد من الموت»².

ب_ الأنثى في الإنجيل:

الإنجيل كلمة يونانية معناها البشارة، أي الخير المفرح، يعرف بين المسيحيين باسم الإنجيل أو الكتاب المقدس، وعبرة عن مجموعة الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوءات عما سيكون حتى المنتهى والنصائح الدينية والأدبية³.

باعتبار السيدة مريم والدة سيدنا عيسى عليه السلام، فقد حظيت بنصيب وافر من القصص في الإنجيل منها:

1_ قصة مريم: لم تكن السيدة مريم في القرآن الكريم مخطوبة لأحد بينما في الإنجيل خلاف ذلك، فجاء في "إنجيل متى" 1 و2: «أن يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح، وكانت

¹ _ كتاب المقدس (كتاب الحياة) : مرجع سابق، ص258.

² _ مختار العربي: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات مجلة الحوار المتمدن، العدد 1052، 2004.

³ _ ويكيبيديا: الموسوعة الحرة، عن الموقع: <http://ar.wikipedia.org>.

والدة يسوع: لما كانت مريم أمة مخطوبة ليوسف، قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس، فيوسف رجلها إذا كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً¹.

فيوسف ستر مريم وتزوجها، حتى لا تكون على ألسنة الناس فضيحة.

2_ وصف المرأة بالعفة: وذلك في قوله في الإصحاح الحادي عشر، في رسالة "بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس" 10 و 11: «فإني أغار عليكم غيرة الله لأنني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح»².

3_ المرأة المطلقة: جاء في الصحاح الحادي عشر، "إنجيل متى 5": «وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعل الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني»³.

4_ الزنا: ورد في "إنجيل متى 5": «قد سمعتم أنه قيل للقديس: لا تزني وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعبرك فأقلعها وألفها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائه ولا يلقى جسدك كله في جهنم»⁴.

فالزاني تقلع عينه التي كانت سبب في اشتهاؤه للمرأة، خير له من أن يلقى جسده كله في جهنم، وهذه هي عقوبته.

5_ مساهمة المرأة في نشر المسيحية: كما كان للمرأة دوراً كبيراً في مبايعة المسيح "يسوع" ونشر دعواته ودليل ذلك في "إنجيل نوحنا" 4.

«وقالوا للمرأة إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أنا هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم»⁵.

¹ _ كتاب العهد الجديد: دار النشر جمعية الكتاب المقدس، دط، لات، ص 6.

² _ المرجع نفسه: ص 6.

³ _ المرجع نفسه: ص 7، 16.

⁴ _ المرجع نفسه، ص 6.

⁵ _ المرجع نفسه: ص 23.

6_ حرمان المرأة من التعلم: ودليل ذلك في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس¹⁴ في "الصحاح الرابع عشر". «لتصمت نساؤكن في الكنائس، لأنه ليس مأذونا أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا، ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة»¹.

7_ تزيين المرأة: جاء في : رسالة بوليس الأولى إلى تيموثاوس وفي الصحاح الثاني: «أن النساء يزين دواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بصفائر أو ذهب أو لآلى أو ملابس كثير الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة»².

8_ تعلم المرأة يكون بسكوت: وذلك في قوله: «لتعلم المرأة في سكوت وفي كل خضوع»³.

9_ طاعة المرأة للرجل: في الإنجيل.

«ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت، لأن آدم جبل أولا ثم حواء، وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي»⁴، وقيل أيضا في طاعة المرأة للرجل في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي³ في: "الصحاح الثالث": «أيها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب»⁵. وهنا تبرز لنا طاعة المرأة للرجل.

10_ تعامل الرجال مع النساء: في الإنجيل.

«أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن»⁶.

وهذا فيه دعوة الرجال إلى حب نسائهم والتعامل معهن بلطف ولين وتجنب القساوة عليهن.

¹ _ كتاب العهد الجديد: مرجع سابق، ص258.

² _ المرجع نفسه: ص 311.

³ _ المرجع نفسه: ص ن.

⁴ _ المرجع نفسه: ص ن.

⁵ _ المرجع نفسه: ص ن.

⁶ _ المرجع نفسه: ص ن.

11_ الطاعة جاء في الرسالة إلى مؤمن أفسس 5،6:

«وذلك يتضح في: أيتها الزوجات، اخضعن لأزواجهن كما يليق في الرب، فإن الزوج هو رأس الزوجة كما أن المسيح أيضا هو رأس الكنيسة (جسده)، وهو نفسه مخلص الجسد. فكم أن الكنيسة قد أخضعت للمسيح، فكذلك الزوجات أيضا لأزواجهن في كل شيء، أيها الأزواج أحبوا زوجاتكم مثلما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها، لكي يقدمها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة، فيزفها إلى نفسه كنيسة بهية لا يشوبها عيب أو تجعد أو أية نقیصة متشابهة بل تكون مقدسة خالية من العيوب، على هذا المثل يجب على الأزواج أن يحبوا زوجاتهم كأجسادهم. إن من يحب زوجته، يحب نفسه. فلا أحد يبغض جسده البتة، بل يغذيه ويعتني به كما يعامل المسيح أيضا الكنيسة، فإننا نحن أعضاء جسده لذلك يستقل الزوج عن أبيه وأمه، ويتحد بزوجه، فيصير الاثنان جسدا واحدا، هذا الشر عظيم ولكنني أشير به إلى المسيح والكنيسة إنما أنت أيضا، كل بمفرده، ليحب كل واحد منكم زوجته كنفسه، وأما الزوجة، فعليها أن تهاب زوجها»¹.

خلاصة:

تحمل المرأة في الإنجيل لعنة أمها حواء إلى يوم القيامة وقد جاء التحذير منها في نصوص دينية كثيرة أهمها قول القديس نوتوليان: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ... ناقصة لنواميس الله»²، ويقول القديس سوسقام: «إنها شر لا بد منه وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت ومصيبة مطلية مموهة»³.

لكن بحلول القرن الخامس للميلاد اجتمع مجمع ماکون للبحث عن مسألة المرأة بأنها مجرد جسد بلا روح فيه؟، وبعد البحث توصل المجمع إلى قرار «أنها (المرأة) خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم»⁴.

¹ _ الكتاب المقدس (كتاب الحياة): مرجع سابق، ص 289.

² _ المرجع نفسه: ن ص.

³ _ مختار العربي: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات ، العدد 1052_2004 / 12 / 19.

⁴ _ الكتاب المقدس: مرجع سابق، ن ص.

أما نتيجة المؤتمر الفرنسي الذي نظم عام 1958 قرر فيه «إنها إنسان خلق لخدمة الرجل فحسب».

وأما القانون الإنجليزي المسيحي البروتستانتي عام 1805م كان يسمح ببيع الزوجات، أما الثورة الفرنسية التي تفتخر بها أوروبا المسيحية وتعتبرها منطلق التحرر في العصر الحديث فإنها «اعتبرت المرأة إنسانا قاصرا»¹.

2_الأنثى في الدراسات الغربية:

لقد شغلت المرأة الغربية حيزا كبيرا من تفكير النساء والبنات، لأنها تظهر لهن في القنوات الفضائية في الأفلام، وفي قنوات الأغاني في الرقص والتمايل والخضوع بالقول والحركة، وتظهر لهن في المجالات في صفحات الأزياء، كما تعرفن إليها في أثناء السفر والسياحية، و تعرفنا إلى المرأة الغربية وزيرة أو رئيسة للوزراء- وإن كانت هذه المعرفة هي الأقل- لقد أصبحت المرأة الغربية التي يقدمها الرجل أمامه بزعمهم "السيدات أولا" أنموذجا تسعى المرأة العربية المسلمة -غالبا- إلى تقليده.

ها هنا نلمح نظرة فوكوياما إلى المرأة الغربية حتى تتضح الرؤية جيدا للمرأة العربية.

أ_ المرأة في نظر بعض مفكري الغرب:

_ فوكوياما مع المرأة أو ضدها؟: وهو مثال فوكوياما يباين الأصل أمريكي الجنسية، عرف واشتهر منذ نشره لمقالة تحت عنوان نهاية التاريخ، وسبب الشهرة أن الولايات بعثت بنسخ من المقالة إلى عدد من المثقفين، وهو صاحب نظرية تأليف المستقبل.

عرف هذا العالم عند خروجه إلى الناس بمقولة جديدة أو فلسفية حول دور المرأة في ازدهار الحضارة أو اضمحلالها، وقد نشرت جريدة التايمز اللندنية مقالة بقلم منيت مارين حيث جاء فيها أن فوكوياما يضع اللوم كله على النساء بأن الثلاثين سنة الماضية التي انتشر فيها تحرر المرأة قادت إلى كل الأمراض الاجتماعية التي يعاني منها العرب، وليس فوكوياما أول من قال بهذه الفكرة، وقد وضع هذه الفكرة في كتابه نهاية النظام the end of order، وناقش فيه دور المرأة في انهيار المجتمعات العربية بسبب الحرية المدمرة ويقول فوكوياما: «إن السبب أن المجتمعات الآسيوية

¹ _ الكتاب المقدس: مرجع سابق، ن ص.

ابتداء من اليابان كانت قادرة على تجنب المشكلات التي واجهت المجتمعات الأوروبية والأمريكية هو أنها كانت قادرة على مقاومة مساواة المرأة مع الرجل»¹.

ويطالب فوكوياما المجتمعات الغربية أن تعود إلى فرض التفاوت في الأجور بين النساء والرجال حتى تعود المرأة إلى الاعتماد على الرجل في دخلها، فهذا قد يساعد في عودة الأسرة المكونة من الوالدين (نسبة كبيرة من الأسر في الغرب الآن يعولها أحد الوالدين فقط).

لقد حدد فوكوياما السنة التي بدأ فيها انهيار الأسرة وهي سنة 1967 أو 1963 كما يفضل كاتب المقال حينما انتشرت موانع الحمل وفرضت الأجور المتساوية بين الرجل والمرأة، فعندها أصبحت المرأة قادرة على السيطرة على خصوبتها وأصبح لديها دخل كاف فلم تعد معتمدة على الرجل، وأصبح الطلاق والعيش بدون زوج أمرا ليس ممكنا فقط بل أصبح مرغوبا.

أما النظرية الأخرى التي جاء بها فوكوياما وأطلق عليها جون أوميسنكي في بعض الصحف الأمريكية (الشرق الأوسط 29 أغسطس 1998م) (تأنيث المستقبل)، ومفادها أن المرأة سيصبح لها قوة أكبر في المستقبل، حيث إن عددا أكبر من النساء سيدخلن مجال السياسة لأنهن يعشن أطول، فإن من المتوقع أن يصبح لهن قوة سياسية أكبر حيث يدخلن الانتخابات وينتخبن نساء مثلهن.

وذكر أن النساء فوق الخمسين سيمثلن ثلث السكان في إيطاليا وفي ألمانيا، ويستنتج من ذلك قائلا: «يبدو من المؤكد أن النساء سينتخبن المزيد من القيادات النسائية اللاتي سيكون ميلهن نحو التدخل العسكري أقل مما اعتاده الرجال الذين في منتصف أعمارهن»².

إن هذان الموضوعان (اعتماد المرأة على نفسها وتحررها، تأنيث المستقبل)، فالأول تحرر المرأة ليس هو الذي قاد إلى انهيار الأسرة في الغرب ولكن سبب ذلك أن الغرب يفتقد إلى القيم الحقيقية للأسرة ولل علاقة بين الرجل والمرأة، على عكس الإسلام الذي ساوى بينهما لكن دون تخليف المرأة الإنفاق على الأسرة مهما كان دخلها وثروتها، وهذا راجع إلى العدل الذي قامت به الشريعة الإسلامية فلا يمكن أن تعطي المرأة أجرا أقل من الرجل في نفس العمل.

¹ _ مازن مطبقاني: صورة من حياة المرأة في الغرب، دار الهدى للنشر، ط1، 1426هـ، 2005، ص 20.

² _ المرجع نفسه: ص22، 21.

أما نظريته عن تأنيث المستقبل فإن الحضارات التي تخرج فيها المرأة عن طبيعتها الأساسية من كونها أما وزوجة وركنا أساسيا في الأسرة إلى أن تتعاطى الأمور العامة أو تكون هي الحاكمة، فهي تعتبر المرحلة الأخيرة لكل حضارة، وبالتالي فهي نهاية الحضارة والرقى حينما تصبح للنساء أمور الحكم بيدهن.

فبحسب نظرة فوكوياما إلى المرأة أنها السبب الأول في انهيار الحضارات الغربية وهي الحاكمة مستقبلا، وعيه فهو ضدها لأنها تسعى إلى الإطاحة بالرجل وسلب مهامه وأدواره في الحياة وصبغها بصبغة أنثوية، إنها تسعى إلى بسط السيطرة عليه في جميع مجالات الحياة.

ثانيا: في الثقافة العربية:

القرآن الكريم كتب الله المعجز، المنزل على محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو نور ورحمة، بشير نذير، احتوى بين دفتيه على آيات وسور، اشتملت على أمور الدين والدنيا، إنها السبيل القويم لبلوغ البشرية إلى ما تصبو إليه من رخاء وسعادة، ولنقل الإنسانية من الفوضى والعبودية وسفك الدماء إلى الأمن والعدل والحرية والمساواة، فتبارك الله رب العالمين، ومن بين هذه الأمور "المرأة" فكيف كانت نظرة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الأنثى؟

1- في القرآن الكريم:

جعل الله تعالى الإشباع الجنسي ضربا من اشتهايات النفس لبلوغ المتعة الجمالية التي تجسد في الذات معنى القيم المتعالية، وخصّ على التمتع بكل ملذات الحياة الطبيعية وخصّ شهوة الأنثى في صياغته للنص على أنها أحد متاع الدنيا قال تعالى: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»¹ كما سوى الإسلام بينهما (الذكر والأنثى) في مبتدئ التكليف والعبادات والتعامل، وقد وضع الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَاللِّبَاسَ عَلَيْهِنَ دَرَجَةً...﴾ (سورة البقرة: الآية 228).

¹ -القرآن الكريم: سورة آل عمران الآية (14)، برواية حفص عن عاصم، السحار للطباعة، 2008/9/4م.

وحت الإسلام كذلك على المساواة بين الرجل والمرأة، متضمنة تأكيداً على حقوق المرأة ومساواتها من جانب أنه خلق زوجين من ذكر وأنثى، وأقر شرعية الزواج، وحقوق الزوجة، وقد جاءت الآية الكريمة لتبرهن ذلك قال الله تعالى: ﴿هَئِن لَّيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ...﴾¹.

كما كان العرب في الجاهلية يكرهون البنات ويدفنوهن في التراب أحياء خشية العار، وقد أنكر الإسلام هذه العادة، وصورها القرآن في أبشع صورة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59)﴾².

وقد بالغ الله سبحانه وتعالى في الإنكار عليهم في دفن البنات، فقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)﴾، (التكوير: الآية 8_9).

فالإسلام أعاد للمرأة حقها في الحياة، ومن مظاهر تكريم الإسلام للمرأة كذلك ما أورده الله تعالى في القرآن الكريم بأنه خلقنا من ذكر وأنثى، وجعل ميزان التفاضل العمل الصالح والتقوى فقال: عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾ (الحجرات: الآية 13).

وهناك مظاهر أخرى كرم الله تعالى المرأة فيها، حيث ذكرها بجانب الرجل فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾³.

نجد في هذه الآيات أنه كلما ذكر الرجال ذكر إلى جانبه النساء وهذا يدل على ضرورة وجود الأنثى (المرأة) إلى جانب الذكر (الرجل).

¹ سورة البقرة: الآية 187.

² سورة النحل: الآية 58_59.

³ سورة الأحزاب: الآية 35.

ونجده كذلك قد منحها سورة كاملة باسمها وهي سورة النساء، فالله تعالى لم يذكر في كتابه سورة الرجال، بل ذكر سورة النساء، وهذا ما يدل على مكانة وعزة المرأة عنده وتكريمه لها، وقد تحدثت السورة عن أمور هامة تتعلق بالأنثى (المرأة) والأسرة والدولة والمجتمع، إلا أن معظمها يتحدث عن حقوق النساء (المرأة)، فلذلك سميت سورة النساء.

والمأمل لهذه السورة الكريمة يجد فيها أموراً لا تعد ولا تحصى تخص المرأة منها:

إن الله تعالى خلق المرأة (الأنثى) من ضلع الرجل (الذكر)، وبث منهما الرجال والنساء، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾¹.

كما حث الله تعالى على المحافظة على حقوق اليتامى من النساء وإعطائهما حقهما فقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْى وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾².

كما حث الله تعالى الاقتصار على زوجة واحدة إذا خاف عدم العدل فقال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (سورة النساء: الآية 3).

فهو بهذه الآية أوضح الأمر جيداً، فإن خفتُم ألا تعدلوا بين تعدد النساء فاقتصروا على واحدة، حتى لا تظلمهن وهذا فيه تكريم للمرأة.

كما ذكر القرآن حقهن في الإرث فقال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (7)﴾ (سورة النساء: الآية 7).

في حين كان الميراث في الجاهلية للذكور دون الإناث، فبمجيء الإسلام تغير ذلك.

¹ سورة النساء: الآية 01.

² سورة النساء: الآية 02.

وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (11)﴾¹. أي يأمركم الله أن تقسطوا للذكر مثل حصة البنتين، وذلك لأن الرجل هو الذي ينفق على عياله، وهو الذي يدفع المهر للمرأة.

كما خصص لها الإسلام المهر في الزواج لتكريمها وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4)﴾ (سورة النساء: الآية 4).

كما حث القرآن الكريم الرجل (الذكر) على أن يحسن إلى زوجته، حتى وإن كرهها فقال عزّ من قال: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)﴾ (سورة النساء: الآية 19).

أي فعسى إن صبرتم على إمساكنهم مع الكراهة فيه أن يكون في ذلك خير كثير لكم في الدنيا والآخرة.

وأما في يخص العفة فقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُورِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا (31)﴾².

وفي الطاعة والعبادة والذكر قال عز وجل: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (33)﴾ (سورة الأحزاب: الآية 33).

وأخص الإسلام الرجل بالنفقة على المرأة فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (34)﴾³.

¹ _ سورة النساء: الآية 11.

² _ سورة النور: الآية 31.

³ _ سورة النساء: الآية 34.

خلاصة:

أعطى الإسلام للأنثى مكانة جد قيمة، أعاد لها الحياة بعدما كانت تدفن حية، خصها في الميراث، كما لم ييخص عليها بالمساواة بين الذكر وألزمه بالنفقة عليها وغيرها من الأمور، وهذا يدل على تكريم الإسلام للأنثى، فلولاها لما كانت تحظى بهذه الحياة الحرة والكرامة، ولولاها لا انعدمت الذرية والخلقة كلها.

2- في السنة النبوية الشريفة:

لعل الدافع الجنسي هو سبب الحب والتألق وتراحم بين الذكر والأنثى، والتكامل بين الجنس الواحد إلا أن هناك مقولة تدعي بأن الذكر هو الرحمن المعصوم عن فعل الخطيئة، والأنثى هي الشيطان الذي يرتكب الخطايا والمعاصي، وعليه فقد ورد حديث شريف "الرسول الله صلى الله عليه وسلم" قال: «حب لي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء... وقرة عيني في الصلاة».¹

وقد تناول العديد من المفسرين هذا الحديث بالشرح، ومن أبرزهم الخفاجي الذي يرى فيه ترسيخاً وتأكيذاً لكلمة الله ورسوله، فما الطيب والنساء والصلاة إلا وسطاء للوصول إلى الجوهر.

كما أن الإسلام منح للزواج بعداً أخلاقياً وخلقياً متزئين وتحصينا للعقوبة بين الزوجين، ورأى في الزواج فائدة للمرأة إذ يمنحها مكانة اجتماعية لائقة وقر لها حقوقاً عديدة قيل عن "الرسول صلى الله عليه وسلم": «الجنة تحت أقدام الأمهات».

أما ابن عربي فيرى أن الحب جمال محض، والله مكون من قيم الحب والجمال، أن الله قد أخرج العالم على صورته ليكون مرآة، يرى نفسه بها، وقد ورد عن البخاري في كتابه "الاستئذان" عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «إن الله خلق آدم على صورته».²

وآدم يعني أبناء البشر ذكورا وإناثا، وقد خص ابن عربي الأنثى مكانة رفيعة في الحياة، وأما بخصوص العلاقة المشتركة بين الذكر والأنثى تتضح في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النساء شقائق الرجل".

¹ - منير الحافظ: الجنسانية وأسطورة البدء المقدس، دار الفرق للطفاعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص 134.

² - المرجع نفسه: ص ن.

كما أعلنت النبوة الشريفة من مكانة المرأة فقال: "صلى الله عليه وسلم": «استوصوا بالنساء وهو صلى الله عليه وسلم حبيب إليه من دنيانا النساء...»¹ وأصل الدين في الحقيقة أمر ودعوة إلى النظر في موجبات الحب، والحب في أصول الدعوة تعبير عن توجيه الوعي العقلاني نحو عالم هذا الكون.

ودعت السنة النبوية الشريفة إلى الاهتمام بتعليم الأنثى، فعن أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم قال: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن، فكان مما قال لهن: ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: واثنين»².

بمعنى أنها تقدم وتحتسب وترضى بموت أولادها، وأشارت السنة النبوية الشريفة إلى الأنثى اليتيمة، فعن عروة بن الزبير أنه يسأل عائشة عن قول الله تعالى: "وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى" قالت: يا ابن أخي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله، ويعجبه، مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها بخير أن يقسط في صداقها، فيعطيهما مثل ما يعطيها غيره، فنها أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء.

قال: عروة: قالت: عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ»، قالت: عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: «وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ».

« أي رغبة أحدكم عن يتيمة إذا كانت قليلة المال والجمال، فنها أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال»³ ، رواه البخاري.

¹ - منير الحافظ: الجنسانية وأسطورة البدء المقدس، مرجع سابق، ص 139.

² - محمد بن جميل زينو: تكريم المرأة في الإسلام، دار القاسم، د ط، لا ت، ص 10.

³ - المرجع نفسه: ص 12.

كما خصت السنة النبوية الشريفة المهر للمرأة في الزواج، فعن ابن عباس قال: «النحلة: المهر، وقيل فريضة مسماه، ولا ينبغي تسمية المهر كذبا بغير حق، وعلى الرجل أن يدفع المهر عن طيب نفس، فإن طابت نفسها عن شيء منه بعد تسمية فليأكله حلالا طيبا»¹، وقال "صلى الله عليه وسلم": «لا يفرق مؤمن مؤمنة، أن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر»² رواه مسلم، أي لا ييغضها بغضا يؤدي إلى تركها.

وقد أشار كذلك "رسول الله صلى الله عليه وسلم"، في مدحه حب النساء فقال: «حب إلي من الدنيا النساء والطيب».

وقال: الإمام الصادق في نفس الموضع: «من أخلاق الأنبياء حب النساء»، وقال: "رسول الله صلى الله عليه وسلم" كذلك: «كلما ازداد العبد إيمانا ازداد حبا للنساء» وقال: أيضا الإمام الصادق: "كل من اشتد لنا حبا اشتد للنساء حبا وللحلواء».

ويروي أيضا في خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء بغرض لها» نهج البلاغة. وأما فيما خص جمالها الباطن فيقول: "رسول الله صلى الله عليه وسلم":

«الجمال في اللسان».

«الجمال صواب القول بالحق والكمال حسن الفعال بالصدق».

«عقول النساء في جمالهن، وجمال الرجال في عقولهن».

وقال: الإمام علي: «صورة المرأة في وجهها، وصورة الرجل في منطقته»³

¹ _ محمد بن جميل زينو: تكميم المرأة في الإسلام، مرجع سابق، ص ن.

² _ المرجع نفسه: ص ن.

³ _ حسين أحمد سليم: كلمات للمرأة في الجمال والحب، دار الكتاب الحديث للنشر، ط 1، 1993م- 1416هـ، ص 15، 16، 17.

لقد دعت السنة النبوية الشريفة المرأة إلى التربية الروحية لأنها الأساس القويم لبناء شخصيتها الإنسانية بناء شاملاً، فهي مصدر هداية العقل، وتركيب النفس، وصفاء القلب، وتهذيب الأخلاق، والتحلي، بالفضائل والقيم والمثل العليا، لتكون قادرة على تحمل أعباء المسؤوليات المناطة بها، والرسالة العظيمة المكلفة بها، وتنمية المجال الروحي والارتقاء به يعطي حياة المرأة المسلمة القيمة الحقيقية، حيث إن الحياة الروحية هي الضابطة للحياة المادية والموجهة لها إلى الخير والصالح الحقيقي، لهذا حرص النبي "صلى الله عليه وسلم" على غرس عقيدة التوحيد عند المرأة المسلمة، لأن كلمة التوحيد هي أساس البناء الروحي لها، لذلك أمرها "صلى الله عليه وسلم" بالتهليل، والتقديس لله تعالى، والتسبيح، ودوام الاتصال بالله عز وجل، وعدم الغفلة، وأن تجعل لسانها رطباً بذكر الله، فقال: "رسول الله صلى الله عليه وسلم" موجهها إلى كل امرأة مسلمة: «يا نساء المؤمنات عليكن بالتهليل والتسبيح والتقديس ولا تغفلن فتنسِينَ الرحمة واعتقدن بالأنامل فإنهن مسئولات مستنطقات» (مسند أحمد، ب ت، ج 55، 43)

كما حرص "رسول الله صلى الله عليه وسلم" على تصفية قلب المرأة المسلمة وتقوية إرادتها، وذلك حين أوصاها بهجر المعاصي، وكثرة الذكر والمحافظة على الفرائض، ويظهر ذلك جلياً حينما طلبت منه أم أنس أن يوصيها فقال: "صلى الله عليه وسلم": «اهجري المعاصي فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض فإنها أفضل الجهاد، وأكثر من ذكر الله فإنك لا تأتي الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره»¹ (الطبراني، ب، ت ج 18: 307)، فهجر المعاصي يعرس في نفس المرأة طاعة الله ورسوله، والخوف من الله ورجاؤه.

ولقد دعا الرسول محمد "صلى الله عليه وسلم" إلى إكرام المرأة والعطف عليها ومشاركتها في العمل قال «ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم» وبما أن المساواة إحدى أهم مكونات وجودنا الأناسي، فهو يشمل الوعي الأنثي، وحقه في تقرير مصيره، كما أنها ترفض سيادة إنسان على إنسان بأية صورة من صور الممارسات المتبعة واستعباد شعب لشعب، إذ يقول: الخليفة الراشدي

¹ - هناء عبد الرحمان محمد النجار: الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية "دراسة تحليلية" إشراف الأستاذ الدكتور محمود خليل أبو دف، لحصول على درجة الماجستير في قسم أصول التربية بكلية التربية - قسم التربية الإسلامية 1430هـ - 2009م، ص 30.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الصدد: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار» فالإسلام يساوي بين جميع الناس فالناس في نظره كلهم سواء لا فرق بينهم.

لقد جاءت السنة النبوية الشريفة بنفس أحكام القرآن الكريم، إنها تعمل على تقوية أحكامه وإثباتها حتى لا ينهار وينحل، فهي إذا عماد القرآن وسنده، بل عموده الذي يزيد منه رفعة وعلو وقوة وشموخا إنهما بمثابة وجهين لعملة واحدة، فإذا ذكر القرآن الكريم، ذكرت حتما إلى جنبه السنة النبوية الشريفة، فهذه الأخيرة سعت جاهدة لرفع مكانة الأنثى وإثباتها للوجود، ودعمها وإعادة كرمتها وحقها، حتى تحي حرة.

3_ الأنثى في التراث العربي:

إن التراث العربي بمثابة المصدر أو المنبع الذي تنهل منه الأمم والأجيال، به يصح قوام الأمة واستقامتها، إنه المنهج والطريق الذي نتبعه، بل هو الجسر الحامل والشمع المضيء حتى لا يقع الأجيال في التيهان والضيق، ومن بين أجمل ما حكى عن الأنثى في هذا المجال نذكر ما جاء في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع المنقول عن الأصلي الفارسي والهندي.

أ_ قصة الحمامة المطوقة:

أمرت الحمامة الجرذ بقطع الشرك من جهة الحمامات الأخريات بدلا من جهتها وهذا يدل على التواضع والإيثار، وحب الحمامة لصديقاتها ومساعدة الغير قبل النفس أو الذات، ويتجلى في النص «حين قالت: إني أخاف، إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عن قطع ما بقي، وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي، وكنت أنا الأخيرة لم ترض وإن أدركك الفتور، أن أبقى في الشرك.

قال الجرذ: هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك»¹.

فالحمامة في هذا الموقف تعتبر الأنثى المضحية والمتنازلة المساعدة، ويمكن اختصار هذا المشهد في مقولة "التضحية بالنفس في سبيل الغير".

¹ _ يبدأ: كليلة ودمنة، المكتبة الثقافية، بيروت، تر: عبدالله بن المقفع، دط، لا ت، ص 175.

ب_ قصة القرد والغيلم:

وهي قصة أثبتت فيها الأنثى حيلتها وذكاءها، حين احتالت المرأة (زوجة الغيلم) في استرجاع زوجها، وانشغاله عنها، وتمثلت في الكذب عليه بغية استرجاعه والحفاظ عليه، وذلك بإدعائها أن الأطباء وصفوا لها قلب قرد لشفائها من المرض، وبفضل حيلتها والكذبة المحكمة تمكنت من استمالة قلب زوجها حتى أنه راح يغدر بأعز صديق له من أجلها ومثاله من النص: «فراح الغيلم يطيح بالقرد لكن القرد كان أذكى منه، وقال للغيلم: نحن معاشر القردة إذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله، أو في موضعه لننظر إذا نظرنا إلى حرم المزور ليس قلوبنا معنا»¹.

بفضل الحيلة والذكاء استعادت الأنثى كسب قلب زوجها من جديد، بعد أن كاد يتركها وعليه يمكن حصر محتوى هذه القصة في مقولة "الحيلة تنجي صاحبها".

ج_ قصة السمكات الثلاث:

اللاتي تخلصن من شبكة الصياد بالحيلة والفتنة، حيث تظاهرت إحدى السمكات بالموت للنجاة من الصيادان، وذلك عندما «تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها، فأخذها الصيادان فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير، فوثبت إلى النهر فنجت»². الحياة بعد الموت وذلك بالحيلة والذكاء، فلولا ادعائها الموت لما كانت تحظى بالحياة من جديد.

د_ قصة الأسد والأرنب:

تمثلت حيلة الأرنب للتخلص من الأسد المستبد، في إدعائها أن هناك أسدا غشيما اعترض طريقها وأخذ منها وجبة الغداء «فقال الأسد: انطلقني معي فأرني موضع هذا الأسد، فانطلقت الأرنب إلى جبّ فيه ماء غامر صاف، فاطلعت فيه، وقالت: هذا المكان، فاطلع الأسد، فرأى ظله وظل الأرنب في الماء، فلم يشك في قولها ووثب إليه ليقاتله فغرق في الجب»³.

¹ _ بيدبا: كلية ودمنة، مرجع سابق: ص 215.

² _ المرجع نفسه: ص 121.

³ _ المرجع نفسه: ص 127.

فلو قارنا بين الأرنب والأسد لوجدنا أن الأرنب صغيرة ضعيفة، أما الأسد فأكبر قوة منها إلا أنها استطاعت التغلب عليه، وانقضت غابة بأسرها من غطرسته واستبداده، وبالتالي فقيمة المرء لا تكمن في قوة جسده فقط، وإنما في رجاحة عقله وذكائه، وعليه فمحمل القصة يتلخص في "التضحية سر سعادة النفس والغير".

و_ قصة الحب الشديد:

عادة ما يكون حب المرأة للرجل أقوى وأشد، ولذا نجدها في معرض البكاء والرتاء لزوجها في معظم القصص، ومثال ذلك ما قاله الشاعر الأصمعي:

كنا على ظهرها والعيش في رغد * * * * * والحي يزهو بنا والدار والوطن

ففرق الدهر والتصويف ألفنا * * * * * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

فالمرأة في هذين البيتين تبوح بالحياة السعيدة برفقة زوجها فوق الأرض وسيسكناني معا تحت باطنها، ظلت تبكي وتحسر على وفاته حتى خطفها الموت ، ودفنت معه في نفس القبر ودليله من النص: «فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا ولم تزل تبكي حتى وقعت مغشيا عليها، واستمرت في غشيتها ثلاث أيام، وماتت ودفنت في قبره وهذا من عجيب الاتفاق في المحبة»¹.

شدة الحب والأسى والحسرة جعلتها تحت التراب برفقة زوجها، والغريب في الأمر أنها دفنت معه في نفس القبر حتى لا تفارقه.

ز_ شهرزاد والملك:

تجملت حيلة شهرزاد في استمالة قلب الملك وعطفه والعفو عنها، في جمعها أولادها الثلاثة أمامه وقالت له: إن قتلني يصبح هؤلاء الأطفال من غير أم، فكانت ردة فعله البكاء وحضن أولاده، وراح يصف شهرزاد بالعفة والنقاء، وهذا فيه تعظيم للمرأة ومنحها مكانة: «وعند ذلك بكى الملك وضم أولاده إلى صدره وقال: يا شهرزاد والله إني قد عفوت عنك من قبل مجيء هؤلاء الأولاد

¹ _ ماهر البطوطي: ألف ليلة وليلة والأدب العالمية، مكتبة الأدب 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، ج1، ط1، 1426هـ، 2005م، ص 185.

لكوني رأيته عفيفة نقية حرة تقية، بارك الله فيك وفي أبيك وأمك وأصلك وفرعك، وأشهد الله على أني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك»¹.

كما أن الأنثى في هذا الموضع حظيت بالأجر لها وألحقته إلى والديها، وهذا عادة ما يكون من صنع المرأة الصالحة، كما كانت شهرزاد كذلك سببا في توبة الملك عن قتل النساء، فقد ساهمت في إنقاذ أمة بأسرها من غطسة الملك، وقد قال: الملك لوالد شهرزاد: «سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سببا لتوبتي عن قتل الناس، وقد رأيته حرة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة أولاد ذكور، وأحمد الله على هذه النعمة الجزيلة»².

وبفضلها أيضا ورّع الملك شيئا من المال على أهل المدينة، فلولاها لما كان هذا الكرم والسخاء من قبل الملك حين: «أجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعمّ بإكرامه سائر رعيته وأهل مملكته»³.

ق_ الإخلاص والخيانة:

عندما وقع طير ذكر في الشرك، أثناه لم تفارقه حتى خلصته منه، ولما وقع الدور عليها وكانت ضحية الشرك ذكرها تركها ورحل ومثاله في النص: «فوقع طير ذكر في الشرك ... حتى قرضتها وخلصت طيرها، ... وإذا بالأنثى قد وقعت في الشرك... وطيرها الذي خلصته من جملة الطيور لم يعد إليها»⁴.

وهذا ما ينطبق على حياتنا اليومية، إذ تساعد الأنثى الذكر في متاعبه وتشاركه همومه ومشاكله وتحاول رفع الهم والغم عنه ولو بعض الشيء، إنها تسعى جاهدة إلى رسم الابتسامة على وجهه، لكن الذكر عكس ذلك لا يأبه لشيء، همه الوحيد هو تحقيق ما يطلبه، ويمكن الإشارة إلى ذلك من النص بـ: «فلعن الله من يثق في الرجال، فإنهم ينكرون المعروف الذي تفعله معهم النساء»⁵.

¹ _ المرجع نفسه: ص 311.

² _ ماهر البطوطي: ألف ليلة وليلة، مرجع سابق: ص 312.

³ _ المرجع نفسه: ص 310.

⁴ _ المرجع نفسه: ص 310.

⁵ _ المرجع نفسه: ص 310.

إن التراث العربي جامع للأخبار العجيبة المتضمنة لنوادير الفنون والآثار والآداب، ممثلة لأخلاق أهلها في شكل حكم وأمثال ومواعظ للأجيال للاقتداء بها والسير على نهجها، إنه حقا حافظ للتراث ومربي للأجيال، فلولا له لضاعت القيم.

3_ الأنثى في الدراسات الأدبية العربية:

كثيرا ما تماهت صورة المرأة بالأرض (المكان)، وكثيرا ما نظر إلى الأرض (الوطن) بوصفها المرأة أو المرأة الحبيبة، أو المرأة على إطلاق المفهوم والدلالات الفياضة بالحب والعطاء والإلهام.

ومن بين هؤلاء الشعراء نزار قباني، وعبد الوهاب البياتي، ومحمود درويش وراشد حسين ... وغيرهم كثير. ، ويمكن توضيح ذلك من خلال تبيان مدى تصويرهم المرأة في أعمالهم، والمكانة الكبيرة التي شغلته في نصوصهم الإبداعية وربطها بالحياة والوطن، والتضحية أو الألم.

أ_ نزار قباني:

نزار قباني شاعر غزير الإنتاج، عميق التجربة، متعدد المحاور رغم اختزالها في المرأة والوطن، تميز بمسيرة واكلها الناس من المحيط إلى الخليج، أحبه الجميع، وشقت شعره كل الأجيال، وتعلقت بقصائده النساء والرجال، والكبار والصغار، ظل يلقي شعره فيكون الحدث، اقتفى أثره القراء حتى حصلوا على آخر ما أنتج، وقلده المبدعون في خطواتهم الأولى حتى اشتدّ عودهم، فنزار قباني شاعر المرأة والوطن... أعزّ ما أحبّ البشر... فكان صنّاجة العرب¹.

ارتبط اسم نزار قباني بالمرأة وكانت العلاقة الظاهرة والشائعة لدى عموم القراء هي غزلية بالأساس، والحقيقة أن هذا صحيح إلى حدّ ما، وما بقي أن نزار قباني شعر بوضع المرأة الشرقية منذ بواكير شعره ، فأول مجموعة شعرية له " قالت لي السمرء" رسم فيها صورا ومشاهد للمرأة العربية، حيث يتراءى فيها التمييز بين المرأة والرجل، إذ أن قيم المجتمع العربي تدين للمرأة الزانية وتمجد الرجل الزاني رغم أنهما في سرير واحد، وفي هذا الصدد يقول قباني:

يا قضاتي .. يا رماتي .. إنكم

إنكم أجبن من أن تعدلوا..

¹ _ التهامي الهاني: الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، ط2، دار صامد للنشر، 72 نجح القيروان، أبريل 2004، ص 88.

لن تخيفوني ففي شرعتكم
يُنصر الباغي.. ويرمى الأعزل.
تسأل الأنثى إذا تزني.. وكم.
مجرم دامي الزنا.. لا يسأل.
وسرير واحد.. ضمّهما.
تسقط البنت.. ويحمى الرجل¹.

فقد أثار نزار قضية التمييز بين المرأة والرجل، كما فضح الممارسات التعسفية على المرأة.. فالرجل مستبد يسلط مظلماً على الجنس اللطيف، ونادى كذلك بواجب احترامها ككائن بشري، وطالب المجتمع العربي بالمساواة بين الرجل والمرأة في المسائل العاطفية والوجدانية، وحتى يعبد الطريق لتحرير المرأة، وأعلن الثورة على العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية القديمة، وكانت المرأة دلالة مجازية لبسط قضايا وطنية وإقليمية وقومية، فالمرأة هي الثورة والحرية والديمقراطية وقضايا التخلف، يقول نزار قباني:

سأكتب عن صديقتي...

عن السجن الذي يمتص أعمار السجينات..

من الزمن الذي أكلته أعمدة المحلات...

عن الأبواب لا تفتح..

عن الزنانة الكبرى..

وعن جدرانها السود..

وعن آلاف.. آلاف الشهداء..

دفن بغير أسماء.

¹ _ نزار قباني : قالت لي السمراء، منشورات نزار قباني، ط 34، بيروت، 1993، ص 153.

بمقبرة التقاليد...¹.

ومن هنا كان لابد من العثور على امرأة من هذا الشرق تمتلك القدرة على الصراخ، تمتلك الجرأة على التحدث عن نفسها وعن جسدها، دون أن تلطخها عقدة الذنب، وتذبجها فؤوس العشيرة، كان لابد من العثور على واحدة، امرأة واحدة، تنتزع القفل الصدئ الموضوع على فمها، وترميه سجانها، كان لابد من امرأة فدائية، تقبل بمحض إرادتها أن تمد جسدها وسمعتها جسرا تمر عليه بنات جنسها إلى الضفة الأخرى من النهر، إلى الضفة الحرة.. بحثت عنها هذه المرأة الشجاعة، أنه يدعو إلى تحرر المرأة ويؤكد على تمتعها بما يجب أن تكون عليه كجنس بشري في المجتمع.

كما احتلت المرأة حيزا كبيرا في أشعاره نظرا لما لها من أهمية في المجتمع، وإنما تجاوزت ذلك إلى الموضوع الرئيسي في أشعاره، والمرأة عنده تختلف عن المرأة العادية التي يعشقها كل الناس ويتغزلون بها ويسعون جاهدين إلى التعدي على أنوثتها، بل امرأة نزار من نوع خاص قد تكون وطنا أو قضية أو فكرة أو ...، فالمرأة النزارية يستحيل وجودها في عالم النساء هذا، إنها امرأة فريدة من نوعها، إنها المرأة الوطن وها هو نزار يقول:

آه بيروت يا أنثاي من بين ملايين النساء.

يا رحيلا برتقاليا على ورد... وبرق... وماء.

يا طموحي عندما أكتب أشعاري لتقريب السماء².

عند تأملنا لهذه الأبيات يتبادر إلى ذهننا أن بيروت هي تلك المرأة التي يعشقها الشاعر المولع بحبها، لكن في حقيقة الأمر بيروت هنا هي وطنه الحبيب، فالشاعر في هذه الأبيات يربط الوطن بالمرأة ويعطيه صبغة أنثوية تزيد جمالا، فالوطن يحمل الحب والحنان كما تحمله المرأة فهما سواء في الحب والحنان والعطاء هما كالماء وخريره، الماء عذب لكن الخريف يزيد في عذوبته، فهكذا الوطن والمرأة، فحينما نجد المرأة عنده تبقى أرض ثورية ووسيلة من وسائل التحرر وفي هذا الصدد يقول:

ثوري... أحبك أن تثوري.

¹ _ نزار قباني : يوميات امرأة لامبالية، منشورات نزار قباني، بيروت، ط16، 1993، ص 117.

² _ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، مج 1، ط2، سبتمبر 1983، ص 56.

ثوري على شرف السبايا.. والتكايا.. والبحور.

ثوري على التاريخ وانتصري على الوهم الكبير..

لا ترهبي أحدا.. فإن الشمس مقبرة النسور.

ثوري على شرق يراك وليمة على السرير¹.

يشيد الشاعر بالثورة ويدعو المرأة إليها، لعلها تكون وسيلة لرفع الإهمال واللامبالاة التي آلت إليه المجتمعات العربية، وربطها بالمرأة ليرفع عنها تسلط المجتمع، إنه ناطق باسم المرأة العربية التي ضاق بها الحال لما آلت إليه من الظلم والقسوة، ويقول نزار في نظره إلى المرأة العربية:

المرأة العربية تغيرت.. وغيرتني معها..

هي صارت أشد ذكاء.. وحي لها صار أكثر حضارة..

هي خرجت من قرويتها.. وأنا خرجت من بداوتي.

المهم أن أغير أنا.. أن يتغير الرجل.. فالمرأة هي الوجه الآخر لي.

إن تعاملت معها كوردة.. أعطتني عطرها.

وإذا تعاملت معها كذبيحة.. سال دمها على ثيابي.

وإذا تعاملت معها كجارية.. سقطت.. وأسقطتني معها..

فليس هناك امرأة حرة.. إلا بوجود الرجل الحر².

يربط نزار تغير الرجل بالمرأة، وهذا يدل على دور المرأة وضرورة وجودها إلى جانب الرجل، فردة أفعالها تكون بحسب تعامل الرجل فإن عاملها بالحسنة كانت جيدة معه والعكس، ولكنه يربط حريتها بحرية الرجل فبحسب نظره أنه لا توجد امرأة حرة، وإن وجدت فهي في ظل حرية الرجل.

¹ _ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، مرجع سابق، ص 56.

² _ المرجع نفسه: ص 60.

يمزج نزار قباني بين المرأة والوطن حتى يشكل بل يصنع شيئاً جديداً رهيباً ليس له مثيل على الإطلاق، لنقف على أجمل ما قال في هذه الأبيات:

أرجوك يا سيدتي

أن تحزمي حقائب النسيان

فإن حجم دمعتي...

أكبر من مساحة الأجفان

أرجوك يا سيدتي.

فالمتمأمل لهذه الأبيات يخطر بباله أنها موجهة إلى امرأة لكن عند وقوفه على آخر الأبيات:

لبنان...

كان أنت.. يا حبيبتني.

ويوم ترحلين عن صدري..

فلا لبنان..¹.

هنا يتضح الأمر بأنها موجهة إلى وطنه الحبيب لبنان، نجدده كذلك يصفه ويسقط كل ما تتباهى به المرأة من جمال و أنوثة ورقة عليه (الوطن) فيقول:

على أهدابك والشففتين..

فأراها.. طيرا بحريا.

وأراها.. عقدا ماسيا.

وأراها.. امرأة فاتنة.

تلبس قبعة من ريش.

تشبك دبوسا ذهبيا.

¹ _ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، مرجع سابق، ص 71.

وتخبئ.. زهرة غاردينيا.

خلف الأذنين

بيروت ! وأنت على صدري..¹.

كما صور نحن المرأة وألمها وتضحيتها من أجل وطنها، حيث ضحت بطفولتها وجمالها وشرفها من أجل حرية وطنها، حيث يقول:

مقصلة تنصب.. والأشرار.

يلهون بأنثى دون إزار

وجميلة بين بنادقهم

عصفور في وسط الأمطار

الجسد الخمري الأسمر

تنفضه لمسات التيار

وحروق في الثدي الأيسر

في الحلمة..

في.. في.. يا للعار..

السم: جميلة بوحيرد

تاريخ.. ترويه بلادي

يحفظه.. بعدي أولادي

تاريخ امرأة من وطني

جلدت مقصلة الجلاد..

امرأة دوّخت الشمس

¹ _ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، مرجع سابق، ص 690_691.

جرحت أبعاد الأبعاد..

ثائرة من جبل الأطلس

يذكرها الليلك والنرجس

يذكرها.. زهر الكباد..

ما أصغر (جان دارك) فرنسا

في جانب (جان دارك) بلادي..¹

وصف الشاعر أيضا بلقيس وهي القصيدة الحبيبة التي كان يحلم بها، لكن من منظور سياسي، فبلقيس هي لبنان، أي أنها تحولت (بلقيس) إلى زعيمة كبيرة للمعارضة عاشقة لبيروت والعروبة، فيقول: بلقيس أيتها الأميرة

ها أنت تحترقين في حرب العشيرة... والعشيرة

ها نحن نسأل يا حبيبة

إن كان هذا القبر قبرك أنت

أم قبر العروبة..²

بلقيس في هذه الأبيات رمزا الدمار والخراب ليس لبيروت فحسب بل للعروبة كلها، فالشاعر حمل بلقيس كل ما يتصف به العدو من وحشية وهلاك، بلقيس هي الوطن الحبيب ووفاتها هو هلاك الوطن والأمة العربية بأكملها، بلقيس تعني الحبيبة التي حلم بها الشاعر.

نزار قباني شاعر المرأة والثورة حقا، صهر الاثنين معا حتى شكلا قالبا شعريا جديدا يتألق يترجم بالثورة والحرية والمستقبل.

كما صور معاناة المرأة وتحملها للمتاعب والإهانة التعذيب، فالمرأة عنده هي الوطن، والوطن هو المرأة.

¹ _ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، مرجع سابق، ص 452_453.

² _ عبد الرحمن محمد الوصفي : نزار قباني شاعر سياسي، دار الفكر الحديث للنشر، ط2، 2002م، ص 174.

ب عبد الوهاب البياتي:

من بين الشعراء المعاصرين الذين مزجوا الحب بالموضوع السياسي والثوري، ونجد في قصائده يخاطب المرأة حتى إذا ما مضينا في القصيدة واقتربنا من خاتمتها اكتشفنا أنه لم يكن يتحدث عن المرأة، وإنما يتحدث عن الوطن والثورة، وقد يتخذ من حديثه إلى المرأة طريقاً للانتقال إلى موضوع الثورة السياسية، وفي هذا الصدد يقول الشاعر:

أحبّها..

أحبّ عينيها..

أحبّ شعرها المعطاء

أحبّ وجهها الصغير كلما استدار

أحبّ صوتها الحزين الدافئ المنهار

يفتح في الظلمة شباكاً

ويهمي في الصّحى أمطاراً

أحبّها..

حب الفراشات لحقل الورد والأنوار

أحبّها، يا فجر أيامي ويا..

عرائس البحار

ويا صديقتي

قلق الأسفار

وحسرة الخريف في القفار

تهيب بي تعال: ولا تخش لهيب النار¹.

¹ — إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 302.

فلا ريب أن البيت الأخير يؤكد أن من يعنيه الشاعر في قصيدته ليس امرأة وإنما هو مدينة الشاعر أو بلاده، فهو يعيش في منفاه وحبه الشديد وشوقه يشدانه للعودة غير أنه يخشى شيئاً، فيحاول عبر هذه القصيدة أن يقول أن قلقه وخوفه على مصيره إن هو عاد للوطن قد ولى وأنه يستطيع القدوم إلى بلاده متى شاء، ولهذا فإنه عقب هذه النهاية يؤكد أن ما كان يظنه نارا تلظى بين جنبيه غداً ثلجاً بارداً.

وانهار في قلبي جدار الثلج

وانساب دم النهار¹.

فلولا هذا التوضيح الذي وضعه الشاعر في الأبيات الأخيرة للقصيدة لفهنا أنها موجهة إلى امرأة ما، فالشاعر يسقط صفات المرأة على الوطن وهذا ما جعل فهمنا لها ينصب اتجاه المرأة.

ج- محمود درويش:

مزج هو الآخر الحب بموضوع الوطن أو الثورة، إذ يسمي إحدى مجموعاته الشعرية "عاشق فلسطين"، ومن بين إحدى قصائده يظن القارئ أن موضوعها الغزل الصريح، وهي في الحقيقة أبعد ما تكون عن ذلك إذ يقول:

أموت اشتياقاً

أموت احتراقاً

وشتقاً أموت

وذبحاً أموت

ولكنني لا أقول

مضى حبنا وانقضى

حبنا لا يموت.²

¹ - إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق، ص 303.

² - المرجع نفسه: ص 304.

فقد لفت الشاعر الانتباه إلى هذا المزج بين المرأة والوطن، فهو سارة يتحدث عن حب يومهم القارئ أنه حب حقيقي، لكنه سرعان ما يذكر الجراح، والزيتون، والتراب فينتقل بالقارئ تدرجاً من عالم الحب إلى عالم الشعر السياسي والثوري فيقول:

سقط الورد من يدي

لا عبير ولا حذر

لا تنامي حبيبي

العصافير تنتحر

ورموشي سنابل

تشرب الليل والقدر

صوتك الحلو قبل

وجناح على وتر

غصن زيتون بكى

في المنافي على حجر

باحثاً عن أصوله

وعن الشمس والمطر

لا تنامي حبيبي

فالعصافير تنتحر¹.

ضمن الشاعر حب وطنه في قالب حب نسوي جميل جعل منه شيئاً رهيباً، فالوطن والمرأة مركز حب يشع بالأمل والسعادة، فالمرأة هي الوطن، والوطن هو المرأة فهما من طين واحد حسب الشاعر.

¹ - إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق ص 304.

وظف محمود درويش أيضا هذا المزج، (الوطن، الحبيبة) فنجدته يقول في قصيدته (يطير الحمام):

يطير الحمام

يحط الحمام

أعدي لي الأرض كي أستريح

فإني أحبك حتى التعب

أنا وحببيتي صوتان في شفة واحدة

أنا لحيبي أنا، وحيبي لنجم الشاردة

وندخل في الحلم، لكنه يتباطأ كي لا نراه

وحين ينام حبيبي أصحو لكي أحرس الحلم مما يراه يطير الحمام.¹

فطير الحمام هنا دال على السلام، نجد أن الشاعر شيد ويتغنى به لأجل وطنه وحببيته فالسلام إذا يخص كل من الوطن والحبيبة في هذه الأبيات.

أعطى محمود درويش كل الحب والألم والحنين إلى الوطن والحبيبة، حيث نجدته يكسي قصائده صفات الأنثى لأنه في صدد التعبير عن الوطن.

¹ - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014م - 1435هـ، ص 295.

د- راشد حسين:

لقد صور الشاعر صوراً مؤثرة مؤلمة صوراً بائسة لشعب اجتث من أرضه، وتخلّى عن إخوانه، فبقى وحده يعاني قسوة اللجوء ومرارة الحياة، إنه يمزج في شعره الإنسان الرومانسي والإنسان الثوري، إنه ابن قرية فيها السهل والجبل، وفيها الفلاح الذي يزرع ويحصد، وفيها البيادر والحمام، إنه يعتز بوطنه وبيئته، تتمازج في أشعاره المرأة والوطن في أبهى صورة فيقول:

لون عينيك حصاد

لون عينيك بيادر

لون عينيك كفاح

وطني فيه مسافر

وصبور لون عينيك كأمي

وكريم كسهولي

وأبي كجبالي

لون عينيك حمام ونسور في نضالي¹

فالمطلع على هذه القصيدة يجد أن الشاعر أسقط جمال المرأة على أرضه ووطنه، وهذا ما أدى به إلى إخراج القصيدة، في لون شعري جميل إنها تحمل معنى الوطن بدلالة المرأة، لكن نجده في نهاية المطاف، يؤثر الوطن على المحبوبة، كائنا ما كان حسناتها وجمالها في قصيدة بعنوان (هي وبلادي):

قالت: أتقسو هكذا يا شاعري * * * * * ارحم فقلت رحمت لو لم تسألي

للحب نحو القلب درب واحد * * * * * ولموطني في القلب مائة مدخل

وطني أحب إلي رغم جفائه * * * * * من كل حسناء تثير تغزلي²

¹ - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، مرجع سابق، ص 290.

² - المرجع نفسه: ص 290.

فقد غلب حب الوطن على حب حبيبته.

ومهما يكن من أمر، فسيظل الشاعر راشد حسين علما من أعلام شعراء الأرض الحبيبة، من بين الشعراء الذين زاوجوا ومزجوا بين حب الوطن وحب الحبيبة.

الخلاصة:

أبدى كل من نزار قباني، وعبد الوهاب البياتي ومحمود درويش، وراشد حسين نظرتهم اتجاه الأنثى، فكانت تتمحور كلها في الوطن، حيث الأنثى وطن والوطن أنثى وهذا راجع لما يشترك فيه من صفات الحنان، الحب، العطاء، الأمن...، فإذا ذكر الوطن كان حتما مضمنا في الأنثى وكذلك هي.

الفصل التطبيقي:

الوطني والأنتوي في مسرحية

مأساة جميلة

أولاً: سيميائية العنوان

ثانياً: التعريف بجميلة بوحيرد

ثالثاً: سيميائية الشخصية

تمهيد:

لقد شكلت المرأة عنصرا أساسيا في الثورة التحريرية، ووقفت بجانب الرجل في تحمل مسؤولية تجاه الثورة المباركة، ولذلك كانت سندا قويا للزوج، والأخ، والابن والأهل الذين حملوا السلاح ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم، وقد أبلت بلاءً منقطع النظير، أظهرت من خلاله أنها النفس الثاني للثورة التحريرية المظفرة.

كما أدت دورا جدّ رياديا من خلال مشاركتها الفعالة في الثورة التحريرية، سواء على صعيد الأرياف أو المدن، المهم أنها أدت واجبها الوطني على أكمل وجه.

وهذا ما سنحاول الوقوف عليه وإبداء النظر فيه بعض الشيء حول المرأة وعلاقتها بالوطن في مسرحية مأساة جميلة لعبد الرحمن الشرقاوي.

الوطني والأنثوي في مسرحية مأساة جميلة.

أولاً: سيميائية العنوان "مأساة جميلة":

العنوان مفتاح سحري لولوج عالم النص، وقديماً قيل "الكتاب يقرأ من عنوانه"، وموضوع تأسيس العنوان كان على يدي كبار المنظرين من أمثال جنيت، بفضل كتابه "عتبات"، وليوهوك الذي مكن لهذا العلم من خلال كتابه المعروف "إشارة العنوان" وعدد من المقالات التي نشرها في المجالات المحكمة، بالإضافة إلى مجهودات كل من روبرت شولز، وجان كوهين.

فالعنوان كتجسيد لأعلى اقتصاد لغوي ممكن، يقتضي قدرات عالية ومهارات فائقة لفك الترميز والشفرات، لأنه مختزل ومكثف ومختصر، إنه نظام دلالي رامز له بنيته الدلالية السطحية وبنيته الدلالية العميقة.

ولا يخفي على أحد وجود شبه كبير بين العنوان وتسمية المولود الجديد، فالتسمية تؤسس لنسب الطفل واندماجه في الجماعة، وكذلك الحال بالنسبة للعنوان الذي يؤسس لانتماء النص الأدبي والثقافي والأيدولوجي والحضاري¹.

كما يرى محمود الهيمسي في كتابه: "وظائف العنوان"، إن الوظيفة البارزة في العنوان هي وظيفة التعيين².

إن العلاقة بين العنوان والنص علاقة شائكة تستدعي استثمار كل العلوم الإنسانية لاستكناه حقيقتها، حيث يستحيل فهم العنوان بمعزل عن النص، لأن العلاقة بينهما علاقة جدلية، وعليه فالعنوان مفتاح النص، عتبه وبوابته، والنص بدوره حامل للعنوان ومبرمج له.

ونظراً لما يحمله العنوان من أهمية ودلالة كبرى في الأعمال الأدبية المختلفة، فهو بمثابة المفتاح للنص، إذ لا يفهم النص إلاّ من خلاله لأنه ملخص وشامل لمجمله، بالإضافة إلى القيمة الجمالية التي يمنحها له.

ولهذا سنتطرق إلى دراسة عنوان المسرحية "مأساة جميلة":

¹ _ محمد خان: السيميائية والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 15_16 أبريل 2002، ص 23_25.

² _ المرجع نفسه: ص 26.

1_المأساة:

هي أحد أنواع المسرحية (المأساة والملهامة)، وقد عرفت منذ القديم خاصة عند الإغريق على أيدي إسخيلوس، وصوفكليس ويوربيديس، كما عرّفها أرسطو من خلال إطلاعه على أرباب المسرح بقوله: «هي محاكاة فعل نبيل تام لها طول معلوم بلغة منمقة تختلف وفقاً لاختلاف أجزائها، وتتم بواسطة أشخاص يفعلون، لا بواسطة الحكاية، وتثير مشاعر الخوف والرحمة فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات»¹.

وهي تمثل الجانب الجدي من الحياة، كما تتسم بالصرامة والنبيل، أما أثرها (المأساة) محصور في إثارة الرحمة والخوف الناتج عن القلق والاضطراب في تصوير مصائر الأبطال، فإثارة الشعور المأساوي إذن إنما يكون بتراسل المشاعر بين الجمهور والشخصيات الأدبية في المأساة².

وغالبا ما تنتهي بالفاجعة والموت والألم الشديد، وهذا ما ينطبق على مسرحية "مأساة جميلة"، التي تتحدث عن الألم والقهر والحزن خاصة بعد وفاة الفتاة البطلة اليتيمة أمينة، وتعبّر عن ذلك جميلة بقولها:

« جميلة: وارحمتالك يا أمينة !.. ماتت شهيدة ! »³.

تدخل جميلة إلى الشرفة وعينها على سجن برباروسة، الذي ماتت فيه أمينة فتقول:

« جميلة: وارحمتالك يا أمينة ! أواه ... أنفاسي ثقيلة (منفجرة).

لم لا تصيح الأرض في وجه المظالم والمجازر.

لم لا يصير تموج النسمات كالضربات في وجه الطغاة؟

لم لا... إلى أن تقول: والشمس تشرق رغم مأساة الحياة ولا تبالي ! »¹.

¹ _ أرسطو طاليس: فن الشعر، تر: إبراهيم خماره، المكتبة الانجلو المصرية للنشر والتوزيع، دط، لات، ص 14_15.

² _ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، أكتوبر 1997، ص 74.

³ _ عبد الرحمن الشرقاوي: مأساة جميلة، دار المعارف، مصر، ط 1962، ص 57.

فرغم الألم والحزن، إلا أن هناك تفاؤل وأمل في الحرية المسلوبة، وتحمل سجن برابروسة هذه المأساة فتثور عليه فتقول وأنظارها تنصب عليه:

« جميلة: يا أيها الحجر المهيئ..

من أي أحجار الجحيم صنعت ثم وقفت مرتفعاً على أشلائنا مستهزئاً بصراخنا ودموعنا. وبكل ما امتلك الفؤاد من المنى، ومن الضنى !»².

ثم تليها مأساة هند في السجن نفسه، لقد تعرضت لأبشع طرق التعذيب، والاغتصاب إلى أن جنت المسكينة:

«هند: تك... تك... تك... تك... هات... خذ... هات

أيهما أقرب إلى الله تعالى انفجار القنبلة،

أم دوي المدفع الرشاش، أم..

صرخة العذراء وهي تغتصب !إنها لمشكلة !

(تصرخ) لست هنداً بعد .. إني عاهرة ... عاهرة !»³.

لقد تحملت وعانت إلى أن جنت، ودليل ذلك:

«هند: أنتم يا من تخرجون الآن من هذا الزمان الأسود... العيون النهمات..

قبعات لونها كالدّم.. آه .. ألف ناب ألف مخلب..

تنهش الساعة في لحمي.. آه... (تجري وتختفي في ركن الحجرة)»⁴.

تقول هند الجميلة:

¹ _ المصدر: ص 90.

² _ المصدر نفسه: ص 90.

³ _ المصدر نفسه: ص 278_279.

⁴ _ المصدر نفسه: ص 279.

«هند: ولكني أراهم يقبلون... دائما هم يقبلون !

احفري لي مخبأ في ذلك الحائط حتى لا يروني، (تنبش الحائط بأظافرها في زعر)»¹.

وبهذا تستمر المأساة إلى أن تنتهي المسرحية بمأساة أخرى وهي معاناة جميلة في سجن برباروسة.

2_ جميلة:

كلمة تحمل معنى الجمال والحسن والبهاء، إلا أنه في المسرحية عكس ذلك تماما، إنها مشبعة بالحزن والأسى والألم، إذ تحملت البطلة قساوة السجن (برباروسة) وتحدث ذلك الوحش الرهيب.

تحكي جميلة مأساتها المرة داخل السجن فتقول:

«جميلة: (منفجرة) نزعوا جميع ملابسهم وتحسسوا جسدي بأسلوب قذر... ودمي يسيل..

فدفعتهم بيدي السليمة، فانشوا يتضحكون.

وهددوني قائلين ستهتكين وتهتكين... إن لم تقولي أين جاسر

(تضطرب جدا ويغزو الخجل صوتها).

عشر من السنغال ... ممن خصصوا في الاعتداء على النساء المسلمات سيقبلون من بعدنا نحن الفرنسيون، ثم يواصلون..

إن لم تقولي أين جاسر..

أنا لست أعرف كيف أكمل ما أقول...

(تستمر) وظللت أدفعهم وأبصق في وجوههم الحقيرة ودمي يسيل..

وأنا هناك عارية وظللت أضرب عارية ودمي يسيل..

وأنا أدفعهم وهم يتدافعون عليّ كالتنين في غيظ مخيف ودمي يسيل...

وشددت عارية إلى آلات تعذيب رهيبة»².

¹ _ المصدر: ص 279.

² _ المصدر: ص 326_327_328.

إنها مأساة الأنثى وهي تستصرخ مستغل جسدها وعرضها، إنها مأساة ضياع الشرف والكرامة، إنها مأساة فتاة حاملة بغد مشرق...

لكن الحياة تسير بعكس ما تشتهي، إذ تصور جميلة مأساة ما حدث لها وهو تصوير حقيقي لمشهد مؤلم، وتمسكها بموقف الرفض والبوح الصارم، رغم شدة التعذيب تقول هند عن جميلة: «هند: ... لم تقتلي أحدا ولكن عذوبك..

وكنمت حبك في الضلوع فشوهوك لكنهم لم يقهروك... تستدير لهم بحركة من يدها تقلد بها حركة المدفع الرشاش)..
تك... تك... تك»¹.

رغم جنون هند إلا أنها اعترفت بوحشية المستعمر وأفعاله الشنيعة.

لقد تقاسمت كل من أمينة وهند وجميلة قساوة ومرارة سجن برباروسة، وتحملن معا محنة الثورة، ودروب الألم والحزن، إنها حقا لفترة جد صعبة، ماتت إثرها أمينة وجنت هند، لكن جميلة الأليمة تحملت وعانت وصارعت الموت من أجل حرية وطنها وشعبها.

إن الكلمتين مأساة جميلة، الأول تحمل معنى الحزن والأسى والألم، أما الثانية تحمل معنى الجمال، لكن عبد الرحمن الشرقاوي شكل منهما نصا رائعا جمع فيه جمال المأساة حين تنتهي بتفاؤل لغد مشرق مشبع بالحرية والاستقلال والأمل، مخفي أو يحاول نسيان الألم والمرارة التي لحقت به، والاعتصاب والتعذيب الذي طال بنات الجزائر اللائي فدينه بشرفهن وأرواحهن، فالأنثى _ المرأة _ هنا كانت رمزا للحرية والكرامة، مدافعة عن وطنها بلسانها، وقلمها وشرفها، ودمها وروحها...

ثانيا: التعريف بجميلة بوخيرد:

¹ _ المصدر نفسه: ص 338.

جميلة بوحيرد مناضلة جزائرية كانت واحدة من بين ثلاث جميلات عرفهن النضال الجزائري وهن (جميلة بوعزة، جميلة بوياسا، إلى جانب جميلة بوحيرد).

ولدت جميلة بوحيرد بحي القصبة العتيق عام 1935 من أب جزائري وأم تونسية، ترعرعت في أسرة متوسطة الحال وكانت البنت الوحيدة بين سبع شبان.

بدأت العمل الثوري وعمرها عشرون سنة، وكانت آنذاك طالبة في معهد الخياطة والتفصيل، تقول جميلة في هذا الشأن: «بأن الأمر كان صعبا في البداية، وكان بواسطة صديقة تناضل في صفوف أحد الأحزاب»¹.

نشأت جميلة في وسط يعد الخلية الأساسية للنشاط الوطني في الجزائر العاصمة، وبدون شك أنها تعلمت وتكونت فكريا وعلميا من هذا الوسط، ومنه أيضا أثبتت وعيها ونضجها الفكري واستعدادها النفسي للنضال، وتعد من أوائل الفدائيات المتطوعات اللواتي استجبن لنداء ياسف سعدي قائد المنطقة المستقلة للتجنيد والمسؤول عن العمليات الفدائية في القصبة، حيث يقول سعدي: «لقد تم اختيار المتطوعات بمقاييس دقيقة وخاصة أهمها المظهر الجسدي واللباس الأوروبي، وتكفي ابتسامة أو مزحة لكي تخترق تلك الفتيات دورية الحراسة بكل بساطة، حيث تسمح لهن بالمرور دون التفتيش أو طلب استظهار الأوراق المدنية»².

أما أهم الصفات التي تشترطها القيادة الثورية فهي الشجاعة والجرأة، والنفس الطويل، وقوة الاحتمال، ويمكن تشخيص أهم صفات الفدائية التي تجسدت في جميلة من خلال اعترافات الجنرال جاك ماسو في كتابه "la vraie bataille d'alger": «لقد حملت المرأة الجزائرية القنابل ووضعتها في الأماكن المناسبة وأصبحت جماعة تشكل شبكة حقيقية بفضل أجهزتها وجمالها الفاتن والبراءة المصطنعة في سلوكها، استطاعت بكل سهولة أن تخترق الأوساط التي

¹ _ قصي صالح الدرويش: مجلة، "جميلة بوحيرد"، الدث الدولي والعربي، عدد 24، 2002، ص 40.

² _ المدني أحمد: حضور الثورة الجزائرية في الوجدان الأدبي بالمغرب، مجلة الثقافة، الجزائر، السلسلة الثانية، عدد 15 سبتمبر 2007، ص 34.

تريدها دون إثارة انتباه العدو ولاسيما في المرحلة الأولى من الثورة التي كثر فيها الاحتراز والشك، وبصفتها مسؤولة عن الاتصال تمكنت من تنفيذ مهام ذات ثقة...»¹.

كما أن انتماء جميلة لمنطقة القصبة يعدد سببا آخر في اختيارها، لأن طبيعة المدن وتعقيداتها تقتضي إسناد مهمة الفداء داخل المدن إلى مناضلين من سكان المدن نفسها، لأنهم أدرى بشوارعها وممراتها التي تساعدهم أكثر في التحكم في العمليات المسلحة المراد تنفيذها.

وأما أهم العمليات الفدائية التي اشتهرت بها جميلة في الكتابات العربية والأجنبية خاصة هي تلك التي وقعت بتاريخ 30 ديسمبر 1956، وكانت من تنفيذ جميلة بوحيرد وزهرة ظريف وسامية الأخضر، وهذه العمليات عبارة عن تفجير عدة قنابل في الأماكن العامة التي يتواجد بها الفرنسيين، وطبقا لتعليمات ياسف سعدي، ثم تنفيذ العمليات في قلب الأحياء الأوروبية، فانفجرت القنابل الأولى في ميلك بار بشارع إيزلي (بن مهدي حاليا) من قبل زهرة ظريف، والثانية في كافيتيريا بشارع ميشلي (ديدوش مراد حاليا) وكانت من تنفيذ سامية الأخضر، لكن القنبلة الثالثة التي من المفروض أن يتم تفجيرها في قاعة استقبال شركة الخطوط الجوية الفرنسية في عمارة موريتانيا من قبل جميلة بوحيرد، أسفرت تلك التفجيرات عن ثلاثة قتلى وحوالي خمسين جريحا من بينهم حوالي عشرة بترت بعض أعضائهم².

كانت جميلة بوحيرد واحدة من الآلاف المؤلفة من المناضلين الذين كتب لهم سوء الحظ أن يسقطوا في قبضة العدو، حيث تم القبض عليها يوم 9 أبريل 1957 أثناء اشتباكات وقعت بين القوات الفرنسية الخاصة ومجموعة ياسف سعدي، حيث أصيبت في تلك الاشتباكات وتم القبض عليها بمفردها، وقد وجهت لها تهمة زرع الكثير من القنابل المتفجرة والعبوات الناسفة في العاصمة، مما أدى بحياة الكثير من الفرنسيين، وبعد تعرضها لأبشع أنواع التعذيب الوحشي الذي لا يمكن تصوره، قدمت إلى المحكمة في جويلية 1957 حيث حكم عليها بالإعدام.

¹ بن يوسف بن خدة: الجزائر العاصمة المقاومة (1956-1957)، تر: حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005، ص 36-38.

² حسينة حمّاميد: شهادات وحقائق عن نضال جميلة بوحيرد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، عن الموقع: http://www.univ_skikda.dz.

وفي سنة 1962 أطلق سراح الجزائريين تدريجيا وكانت جميلة من بينهم، وعندما استعادت حريتها عادت إلى حياتها الطبيعية، حيث تولت رئاسة اتحاد المرأة الجزائرية، كما حظيت بهالة من التقدير والتمجيد من قبل الجماهير العربية كالعراق وسوريا ومصر وغيرها، كما أشاد ببطولتها وشجاعتها الكثير من المؤرخين والكتاب والسينمائيين، وقد ألهمت قرائح الشعراء في الوطن العربي كتبوا فيها أجمل وأروع القصائد التي ضلت خالدة إلى يومنا هذا¹.

إن ظاهرة الأنثوي والوطني جد متصلة ببعضها في مسرحية "مأساة جميلة" بل تخيم بداخلها، نحاول الوقوف على هذه الظاهرة من خلال الشخصيات الأنثوية البارزة في المسرحية، حيث لكل شخصية صفاتها ومميزاتها، لكن كلها تهدف إلى مغزى واحد وهو الحرية، إن ثنائية الوطن والأنثى أو الوطني والأنثوي تتجسد وتتجلى من خلال هذه الشخصيات وهي: جميلة، أمينة، هند، سيمون.

¹ _ حسينة حماميد: شهادات وحقائق من نضال جميلة بوحيرد، مرجع سابق.

ثالثا: سيميائية الشخصية.

1_ شخصية جميلة بوحيرد:

هي شخصية أساسية، تمثل مجاهدي الثورة التحريرية في المسرحية، وكان وصفها قليلا جدا كونها فتاة جذابة لم تتجاوز العشرين من عمرها وذلك من خلال قول:

«جاسر: (لنفسه) طفلة تحلم أن تنضم للجيش!! وفي كل بلد يحلم الطفل بلعبة وبأثواب جديدة، إن في أقوالها شيئا حقيقيا هو الصدق الجليل، إنها أروع مما كنت أحسب إن في نظرتها نار الغضب، إن في أعماقها الثورة والحقد النبيل.

الرئيس: كم سنك؟.

جميلة: تسعة عشر بالتقريب»¹.

كما وصفها أيضا بقوله: «تقدمي يا هذه السمرء سوف أكون صاحبك العزيز، لم تختبئي وراء كتبك كل هاتيك الكنوز؟ السحر أسمر!»².

كانت تحلم منذ الطفولة مجاهدة، وذلك في قولها:

«جميلة: أنا في الطفولة كنت أحلم أن أكون مجاهدة»³.

أما فيما يخص واقعها النفسي فهي شخصية متمردة على الاستعمار، ذات وعي سياسي عميق، آمنت بالثورة وهي تلميذة لم تكد تبلغ العشرين.

ومن بين العوامل النفسية التي كانت دافعا قويا لها للانضمام لإخوانها المجاهدين والالتحاق بصفوف الثورة التحريرية استشهاد صديقتها أمينة، وكان الحدث بالنسبة لها عاملا مهما وحافزا قويا للالتحاق بصفوف الثورة، حيث قالت:

¹ _ المصدر: ص ص 112، 113.

² _ المصدر نفسه: ص 71.

³ _ المصدر نفسه: ص 111.

« إني أحس الخوف أحيانا، أجل، أنا قد أخاف، وإنما رغم ذلك بي اندفاع لست أعرف مداه ... فحينما أبصرتهم يتدافعون على أمانة... أوشكت أن أنقض مثل الغول فوقهم فما أ بقي لهم أثر على أرض الجزائر .

وودت لو نبتت بأظافري خناجر»¹.

إن نبرة التحدي والمواجهة بادية في كلامها، حتى أنها تمت لو كان لها بدل الأظافر خناجر، وهذا يدل على شدة الحقد والكراهية للانتقام من العدو

فالأنثى جميلة عبرت عن شدة وعمق الحقد والغل عندها، لأن الخنجر أكثر حدة وجرحه أعمق من الظفر فهو قاتل وشاف للروح، فكل ضربة به تطفئ نار انتقامها وكرهها.

كما كانت تأمل للحرية والتطلع إلى مستقبل زاهر ينسيها آلامها وجراحها، وحزنها، ويعوضها أيام شقائها فتقول:

« جميلة: (شاردة) كانا سيقترنان في هذا الشتاء بلا مرء كانت تسير، فتخطف النظرات للواجهات حالمة بأثواب الزفاف !.

كانت تقول له سنبنني عشنا في مخبأ فوق الجبال حتى إذا جاء الزمان الحلو وانحسر الشقاء سيكون هذا العش قصرا رائعا مثل الخيال»².

إنها تحلم لتعيش حياة سعيدة كلها أمل وسعادة، بالإضافة إلى نبرة الشجاعة والتحدي التي تسري في دمها الجزائري، وذلك من خلال قولها لجاسر:

« جميلة: أظن أن هذا الصمت سوف يخيفني، ابدأ مهمتك الحقيرة»³.

وكذاك قولها:

¹ _ المصدر: ص 112.

² _ المصدر نفسه: ص 234.

³ _ المصدر نفسه: ص 270.

«أنا لست أفهم كيف يحتمل الجسد، قد كنت أصرخ حين ألمس نار موقد أو حين يلسعني إناء من نحاس قد غلا فيه الطعام، قد كنت أسقط مجهدة من بعد ساعات قلائل في مذاكرة الدروس، والآن

ها أنا ذا أرى هول الحريق ولا أبالي أنا ... لن أبالي ... أنا لا أبالي...»¹.

يتجلى الدور الأنثوي والوطني الذي قامت به جميلة من أجل وطنها، أنها صارعت الموت وتجرعت أشنع وأشنع طرق التعذيب، كل هذا من أجل وطنها وشعبها، فالأنثى أيضا وقفت وقفة الرجل الصامد.

تقول أيضا متحدية المستعمر:

«هل تملكون سوى دمي؟

أما لساني فهو ملكي، طالما هو في فمي»².

تود القول: لن أموت جزاء هذا التعذيب والدم المنهمر فلساني مازال حي صامد ينطق بالحرية والحب الكبير للوطن، إنها تحمل ألمها وألم شعبها ووطنها ويتجلى هذا من خلال قولها: «إن من حظي وحق الناس أن نحيا جميعا شرفاء، ألكي أحيا كما يحيا سواي حرة آمنة أكسب قوتي ينبغي أن تغرق الوحل يداي ويصبح العار حولي»³.

إنها تعاتب المستعمر لا تود العيش تحت رحمته، فالموت أفضل من العيش في الوحل، لقد عبرت عن وطنها والوضع الذي آل إليه، والآن حان الوقت للتعبير عن حبها اتجاه "جاسر" الذي طالما حفظته في صدرها، وكان ذلك أثناء القبض عليهما (جميلة وجاسر) معا فتبوح بحبها له، لكن هذا الحب كان مضمنا في قالب وطني فتقول:

«جميلة: نحن كافحنا معا...

¹ _ المصدر : ص 270.

² _ المصدر نفسه: ص 270.

³ _ المصدر نفسه: ص 325.

وعرفنا ال...

(تضطرب وتخجل ثم تستمر) وعرفناه معا، غير أن ما تحملنا معا...¹.

كان دفاعها عن الوطن والحب معا، فقد عبرت عن حبها من خلال تعبيرها عن وطنها، فالوطن والحب سواء عند جميلة، أوليس هذا جميل بحق، إنه يحمل دلالة الوطن ودلالات الأنثى إنه حب مشترك بين الاثنين.

يتأثر جاسر بكلام جميلة ويتجه زحفا نحوها:

«جاسر يتجه إلى مكان جميلة، حيث تبقى هي في مكان مرتفع خلف قضبان الحديد وهو يزحف إليها»²، رغم جسمه المنكسر يواصل الزحف نحوها إلى أن يصل إليها:

«جاسر لأن يصل إليها وهي تحاول أن تمسك بيده»³.

وعلى كل حال يصل إليها ويتم اللقاء بينهما، وهنا يعبر كل واحد على ما يكتنه للآخر من مشاعر، كل منها ناضل من أجل الحب والوطن معا، فعلى الرغم من الظروف القاسية والمصاعب المرة إلا أنه في الأخير عبر كل واحد منها عن حبه للآخر في قالب يتضمن حب الوطن.

وترى جميلة أن مسؤولية الوطن أعظم من مشاعر الحب عندها، وهذا ما نلمسه في قولها:

«إن ما في القلب يا عزام ليس الحب، بل شيء جليل ليس يوصف.

إنه أقوى من الحب، من الموت، وأقوى من حياتي نفسها لو كنت تعرف!»⁴.

فلا شيء أقوى من حبها لوطنها، ولا شيء يساوي قيمة الوطن، إنها مستعدة للتضحية بحبها فداء لوطنها، وهذا حقا قمة التضحية.

لقد اتخذت جميلة وجهة نظر وردة فعل اتجاه وضع بلدها، حيث تثور على التاريخ فتقول:

¹ _ المصدر: ص ص 365، 366.

² _ المصدر نفسه: ص 365.

³ _ المصدر نفسه: ص 366.

⁴ _ المصدر نفسه: ص 348.

«في تلك الصفحات السود يُلفق تاريخ الإنسان هي سخرية بي وبعقلي وبوطني وبوجداني، في تلك الكتب المسمومة ! المفتريات المشثومة عن وطني العربي الباسل ! لن أقرأها، سأمزقها، وسأحرقها... إن الثقافة زيفت في هذه الكتب اللعينة... أنا لا أرى وطني الجزائر ها هنا، في صفحة منها، ولا في منزلي»¹.

في ردة فعلها هذه وانفعالها ما هو إلا موقفا صارما وخوفا وإشفاقا على الوضع في الجزائر، وسخطا على الثقافة التي تم تزييفها من طرف المستعمر، كما كانت تسعى إلى إثارة العروبة والنخوة في مصطفى بوحيرد فتقول:

«جميلة: أنا لا أبالي سأظل أصرخ ثم أصرخ كي أحرك نخوتك.

وأثير فيك عروبتك قم يا رجل.

أطلق صراخ الاحتجاج على الأقل.

ما كل هذا الصمت... هل هرب الدم العربي منك؟»².

هنا يتجلى دور المرأة في خلق التحي والمواجهة، إنها تقوي العزيمة والإرادة لدى الرجل اتجاه وطنه، إنها عامل وحافز له.

ولقد شاركت جميلة جاسر في تفجير القنبلة:

«جاسر: هاتي القنبلة.

جميلة: (جميلة تسلمه الحقيقية) الله معك»³.

«(هرج في المرقص)، (بعضهم يحمل ببير إلى الداخل من باب اليمين الذي يفضي إلى حجرة سيمون).

المستوطن: هجم الثوار ذئب الكاسبا جاسر جاء.

¹ _ المصدر: ص 98.

² _ المصدر نفسه: ص 99.

³ _ المصدر نفسه: ص 206.

المستوطن الثاني: فليرحمنا الله جميعاً... الرحمة...

جاسر: ضحايانا نفضوا الأكفان وقاموا الآن ثبت أيدينا يا رحمن.

(يتدافعون نحو الباب الخارجي، والقائد وراءهم، فيتلقاهم جاسر بالقنبلة.. فتدوي والدخان يملأ المكان... سيمون تأتي صارخة بينما يختفي جاسر وجميلة)¹.

وهذا ما يؤكد لنا شجاعة الأنثى وإيمانها بالله سبحانه وتعالى، وكذا إيمانها بقضية شعبها وهي تحرير وطنها، واسترجاع الحرية المسلوبة.

على الرغم من كل ما بذلته هذه البطلة، إلا أنه تم القبض عليها في القنينة بالجزائر العاصمة من طرف قوات المظليين التابعة للعدو الفرنسي، كما مورست عليها أشد أشكال التعذيب وأبشعها، وخضعت لمحاكمة غير عادلة لكن هذا لم يثن من عزيمتها الثورية وظلت صامدة في وجه آلة التعذيب.

وعليه فصفوة القول أن جميلة تحملت الألم وانتظرت الأمل، بحثت عن الحرية فغدت رمزا وأسطورة تعجز الألسنة عن الوصف وتمتنع العقول عن التصور، إنها تحملت التعذيب والإهانة وأشد أنواع الذل، ورغم هذه المعاناة والمأساة ظلت صابرة وصامدة في وجه الوحش المدمر.

جميلة يا بسمة تنير الوجود، يا نسمة دائمة في القلوب، الآن حان دور التاريخ ليسجل بحروف من ذهب نضالك وصبرك وشجاعتك التي أصبحت مضرب المثل في بقاع العالم.

2_ شخصية أمينة:

هي فتاة في مقتبل العمر وطالبة في المدرسة، وذلك حسب قولها: «أمينة: سأزورك بعد المدرسة في معملك السري، والآن أقوم لمدرستي»². كما أنها يتيمة حسب قول جميلة: «عاشت مروعة الحياة يتيمة حتى إذا حُم القضاء»³.

¹ _ المصدر: ص 206_207.

² _ المصدر نفسه: ص 12.

³ _ المصدر نفسه: ص 107.

وتعتبر أمينة من أهم الفدائيات الشجاعات والمحترفات في وضع القنابل، ومن بين عملياتها الفدائية مشاركتها إخوانها المجاهدين في تفجير قطار الأسلحة، وهذا ما نلمسه في حوار أحمد ومصطفى وأمينة: «أحمد: خمسون قطارا -فيما أعلم- أو سبعون...»

مصطفى: يا أحمد لا ! بل أربعة !

أمينة: فلنمنعها.

مصطفى: علينا نحن هنا في القصة ألا نمنعها.

أمينة: لندمرها¹.

من خلال هذا الحوار نلمح عزيمة وإرادة وحرقة أمينة من أجل تفجير القطار، حان وقت التفجير، ومتحملة مسؤولية الأمن، تتدخل أمينة فتقول: أمينة: سنوجه إنذارا للناس قبيل التفجير بوقت يكفي لنجاة جميع الناس من الموت، أمينة (لعمار): «أنا المسؤولة عن أمنك؟»².

تبرز في قولها توضيحيتها من جهة، وتحملها مسؤولية أمن رفقاءها في العمليات الفدائية من جهة أخرى، كما ساهمت أمينة بشكل مباشر في انضمام جميلة لصفوف الثورة ويتبين ذلك قولها:

«أمينة: (فجأة لمصطفى بوحريد) ما قولك في ضم جميلة؟ قد كنت أرشحها من قبل وجاسر يؤيدني»³.

كما أنها تعرضت إلى التحرش وهي بصحبة جميلة وذلك ما يتضح في قولها:

«أمينة: روح يا سخي.

لا تجزعي... قد جاء قطاع الطريق.

لكنهم لن يقطعوا أبدا طريق حياتنا»⁴.

¹ _ المصدر : ص 18.

² _ المصدر نفسه: ص 20.

³ _ المصدر نفسه: ص 21.

⁴ _ المصدر نفسه: ص ص 54_72.

إنها تواجه المستعمر وترده، بل وتصفه بقطاع الطرق الذين لا موطن لهم.

وعلى الرغم من شجاعتها إلا أنها راحت غدرا من طرف العدو بسبب وشاية من هارون، فتم القبض عليها أمام ناظري أمها وجميلة، وعانت أمينة الكثير والكثير من التعذيب والإهانة في سجن برباروسة، إلى أن قررت وضع حد لحياتها في أحد الأيام أين وجدت جثة هامدة بعد انتحارها، وهذا ما نلمحه في قولها:

«... وبمثل لمح البرق مالت وتجرعت أنبوبة السم الصغيرة ثم قالت: لا تتركوا أحدا يساق إلى سجن برباروسة لديه سر من الأسرار، فهناك حكم العار ! والتعذيب، والموت البطيء بغير رحمة»¹.

لقد حذرهم من سجن برباروسة وما يحمله من رعب، فماتت شهيدة في سبيل استرجاع حرية وطنها المسلوبة:

«جميلة: وارحمتالك يا أمينة ! ماتت شهيدة!»².

رحلت وهي تشيد بالحرية لوطنها الحبيب، حتى سكرات الموت لم تنسيها أياه، وماتت وهي تردد شعار الثورة، حيث تقول جميلة عنها: «ماتت وفوق شفاهها اختلج الهتاف: تحيا الجزائر، أما أنا فأظل أبكيها إلى يوم النشور»³.

أما أمها فكانت صابرة وراضية بقدر الله وقضائه فهي متيقنة أن أمينة استشهدت بطلة مدافعة عن وطنها ومؤمنة بقضية شعبها، ماتت أمينة لكن روح التحدي والنضال لن تموت أبدا فهي تسري في عروق شعب بأكملها وسيواصل مسيرة الكفاح وتقدم المزيد من الأرواح فداء لوطنهم، فإن ماتت أمينة فهناك الآلاف ممن مازلن أحياء يكملن مشوارها خاصة هند.

¹ _ المصدر: ص 89.

² _ المصدر نفسه: ص ص 90_107.

³ _ المصدر نفسه: ص ص 89_108.

3_ شخصية هند:

تتجلى في هذه الشخصية ثلاثة أبعاد، من ناحية هي فتاة في مقتبل العمر شاركت في الصف الثوري، ومن ناحية أخرى هي تعيش حياة عادية، حيث كانت مخطوبة لعمار، أما من الناحية النفسية فهي فتاة يظهر التحدي والنضال جليًا في شخصيتها القوية وهذا ما نستشفه من خلال قولها:

«هند: فلننسفها ! فلننسفها في موضعها»¹.

تحاول هند ذات الشخصية العنيد أن تنتقم من المستعمر الغازي وتعتقد عليه الأمور، وترفع رأس شعبها بالعزة فتقول: «...نحن نحتاج إلى شيء جديد، عمل يذهل من روعته وبضياء القلب بالعزة من عزته»².

إنها تتحدى المستعمر بكل ما تملك من طاقة وقوة وصبر وعزم، همها الوحيد هو الإطاحة به والتمتع بالحرية، كما عملت على تهدئة روح الجماعة وتحليها بالهدوء والدقة، فتصف لهم الغد المنتظر المشرق فتقول:

«هند: بدلا من كل هاتيك الرؤوس الدامية.

بدلا من هاتيك الدماء الجارية

في غد، عندما يشرق فجر الأمن من رعب الظلام

بالسلام تنبت الحنطة في كل الحقول الخاوية !»³.

إنها تأمل وتحلم بغد أفضل، ينسيها الأسى والألم والدماء، إنه فجر الحرية، وتقول أيضا:

«هند: ثم أنت أيها الأطفال يا من تولدون

الآن من جوف الليالي المرعبة لتعيشوا في

¹ _ المصدر : ص 18.

² _ المصدر نفسه: ص 167.

³ _ المصدر نفسه: ص 152_153.

غد خضرة الزيتون، في شمس أمان ساطعة

في غد... عندما يا صغاري تكبرون

لا تلومونا ولا تقسوا علينا.

ولا تقولوا إننا في ذات يوم قد ضعفنا أو جبننا.

ما ضعفنا ! ما ضعفنا ! ما ضعفنا.

إننا نمسك من أجلكم أعصابنا.

إننا من أجلكم، إننا من أجل أن نصنع مستقبلكم.

أنتم، وتاريخ الليالي... تختفي إننا لم نضعف، لم نضعف»¹.

«عمار: هند ! لا تستكبري أن تذرفي الدمع اذرفيه... فالبكاء الآن أفضل إنه أوى بنا !

(ترتمي على كتفه باكية).

كما شاركت عزام في مهمة جد صعبة تمثلت في مقتل "بيير" داخل مرقص.

عزام: ستبدأ رقصة سيمون.

هند: لم تنتصف الليلة بعد !

(تظهر سيمون على ضجة الموسيقى في ثياب الرقص، يرتفع ضجيج الضباط يشاركونهم عزام).

أصوات: سيمون ! .. أهلا سيمون برافو.. برافو.. هاللو سيمون...

(سيمون تحييهم بإنحناء وتبدأ رقصتها السريعة وهي تتكلم أثناء الرقص، فتدفع ضابطا يتأمل ما

تعري من جسدها)«².

¹ _ المصدر: ص 154.

² _ المصدر نفسه: ص 197.

«عزام: (هامسا لهند) سوف أقبلك الآن وسأضرب.

هند: كيف؟.. لقد بدأت سيمون مبكرة عن موعدها.

عزام: سأضرب قبل فوات الوقت.

هند: (محذرة) جاسر لم يظهر بعد.

(سيمون تنتقل بسرعة بين الموائد)»¹.

«(تسير سيمون على نغم الرقص تجاه مائدة بيير، فريتز يتعرض لها بينما الساعة تدق الثانية

عشر، فتلقي سيمون على عزم نظرة خاصة)»².

«عزام: (بخطورة) يا هند.

هند: (تعانقه) أتت اللحظة !

عزام: حسنا داريني في القبله ...

هند: (وهي تعانقه بعصبية) أضرب..»³.

في خلال الضجيج يطلق عزام على بيير وهو في نفس الوقت يتظاهر بعناق هند، سيمون تقفز إلى الأرض وتنحني أمام الموائد معلنة انتهاء الرقصة وتقف أمام مائدة عزام.

«سيمون: (لعزام) هنا .. ضعه هنا..

(سيمون تنحني وعزام يسقط المسدس في صدرها بسرعة وتجري هي إلى الداخل من باب اليمين).

هند: (همسا) شكرا سيمون»⁴.

¹ _ المصدر: ص 198.

² _ المصدر نفسه: ص 201.

³ _ المصدر نفسه: ص 202.

⁴ _ المصدر نفسه: ص 205.

لقد تمت هذه العملية بنجاح كبير وتخطيط محكم، لكنّ هند لم تصمد طويلا فقد تم في أحد الأيام القبض عليها وسجنها ولقد تفننوا في إهانتها وإذاقتها أشد أنواع التعذيب الهمجي، لدرجة أنها لم تتحمل هذا الجحيم الذي عاشت فيه فأصيبت المسكينة بالجنون وفقدت عقلها من شدة التعذيب.

«هند: لم أعد حسناء بعد ! (تنتفض فجأة وتدور في المكان بسرعة تقلد صوت المدفع الرشاش وقد شرعت ذراعها كأنه مدفع

هند: خذ.. هات.. خذ هات...»

إنهم قادمون الآن في تلك الوجوه الكالحات»¹.

لقد أصبحت مجنونة نتيجة ما فعلوه بها، وهكذا كانت نهاية البطلة المدافعة عن وطنها، الشغوفة بالأمل، الآملة في الحرية واسترجاع الوطن المسلوب.

4_ شخصية منى:

هي طالبة في الصف المدرسي، شاركت مع بعض الطالبات في الثورة الجزائرية على الرغم من أن أمها فرنسية الأصل، تقول جميلة:

«جميلة: الآن تعرف كل واحدة مهمتها.

طالبة: نعم

جميلة: سنعيد ما قلنا بإيجاز وسرعة

طالبة ثانية: سنكون عند الشاطئ المهجور قبل المدرسة

طالبة ثالثة: في السادسة

طالبة أخرى: بملابس وطنية»².

إن هؤلاء الطالبات جميعا ارتدين العباءات وقمن بنقل الأسلحة إلى الشوار في الجبل.

¹ _ المصدر: ص 278.

² _ المصدر نفسه: ص 220.

«الثانية: فلتعذرنا إن سألنا يا جميلة .. إننا لم نشترك من قبل في عمل كنقل الأسلحة»¹.

تقدم لهم جميلة النصائح تقول:

«جميلة: لا لا ! خطأ !

فلتحذري الخطأ الصغير فقد يدمر كل شيء.

جميلة: (بحسم) لا تلتفتن إلى الوراء... لا تبوحى بالمهمة»².

تنصرف الطالبات إلى المهمة، لكن "منى" تكلف بمهمة أخرى تمثلت في توزيع المنشورات.

«جميلة: لا لن تكوني دونهن

فلديك مسؤولية المنشور يا أختي العزيزة

(تعطيها ربطة من المنشورات)

روحي غدا لتوزعيها على بنات المدرسة فلتقرأيه ولتسأليني ما بدا لك فيه

(الطالبة منى تنحى المنشورات ثائرة وتتقدم إلى جميلة بانفعال).

منى: (محتدة) إذا كان حقاً إن هذا الدور يشبه دورهن، إن كان حقاً إن توزيع الكلام

عمل مهم مثل توزيع السلاح

فلم القتال إذن؟ ! أجل فيم الكفاح !

لما لا نحارب بالكلام»³.

إن في قولها هذا تتجاوز الأنثى القتل بالسلاح إلى القتل بالكلام، تقرأ جميلة ما بداخل المنشور،

ويغلب منى التأثير شيئاً فشيئاً فتأخذ المنشور من جميلة وتكمل قراءته:

¹ _ المصدر: ص 224.

² _ المصدر نفسه: ص 223.

³ _ المصدر نفسه: ص ص 224_225.

«منى: ومن أجل تحرير أرض الجزائر من البربرية

وحكم فرنسا وإرهابها

لنبذل لجبهة تحريرنا

لندفع لها

قوّها بانضمامك

وسر شامخ الرأس تحت اللواء.

فتتأثر الثانية والثالثة من الكلام فتقول:

الثانية: هذا الكلام يشير حتى الهامدين !

الثالثة: ويشد أعصاب الشجاعة.

فتقتنع منى وتوافق على توزيع المنشورات ، فتقول:

"منى: سأوزعه.. إني لا أعرف إنه دور دقيق

(تضع الربطة في حقيبتها المدرسية)

فتسألها الطالبة الرابعة: أنت اقتنعت الآن أن عليك مسؤولية كبرى

منى: أجل»¹.

وانضمت كذلك الطالبة الرابعة.

«الرابعة: حسنا سننهض بالرسالة مثلما يرجو الوطن

(يتهيأان للخروج وتسلم عليهن جميلة واحد فواحدة)

جميلة: (أثناء توديعهن) حظ سعيد .. في أمان الله..

¹ _ المصدر: ص ص 227_228

عدنّ مظفرات.. فلتعدن¹!..

من خلال ما تقدم يتضح أن الأنثى (المرأة قد ساهمت في إعادة الحرية إلى وطنها، حيث ضحت بنفسها ومالها، وكان شغلها الشاغل هو استعادة الحرية فقط، تحملت السجون والتعذيب والإهانة من أجل وطنها، إنه دور وطني وأنثوي في نفس الوقت، وبهذا قد شكلت ثنائية متكاملة تمثلت في الوطني والأنثوي.

4_ شخصية سيمون:

هي شخصية فرنسية مساندة للثورة الجزائرية، تعمل راقصة في ملهى ليلي بالجزائر العاصمة يطلق عليه كباريه سيمون، وهي فتاة جميلة ومغرية تفتن كل من شاهد رقصها المثير، وهذا ما يتضح في قول الكاتب: «... كتب عليه بالضوء الأحمر بالعربية والفرنسية (كباريه سيمون العزيزة)»².

كانت سيمون متزوجة من جندي في الجيش الفرنسي، فقدته إثر مشاركته في حرب الهند الصينية، فأصبحت ابنتها يتيمة فاضطرت للعمل في الملهى بعد قدومها للجزائر، وكانت تعتقد أن ما فعلته فرنسا في الهند الصينية والجزائر حرب قذرة، إنها تحاول أن تمنع ما حدث معها أن يحدث لغيرها، ولهذا السبب ساندت الثورة والشعب الجزائري لأنها ترى فيه شعب مناضل يسعى لتحقيق حريته المسلوبة، ومن حقه عيش حياة كريمة وحرّة في كنف وطنه مثله مثل باقي شعوب العالم، وترى أن السلطات والحكومات الفرنسية كانت جائرة وظالمة ومستبدة وهاضمة لحقوق هذا الشعب.

وتمثلت مساندة سيمون للثورة في نقل أسرار القيادة الفرنسية وخططها إلى عزام وهو بدوره ينقلها إلى الثورة، ودليل ذلك يتضح في قول عزام: «سيمون جاءتني بأسرار القيادة كلها، وسوف تعرفها هناك منها، عرفت شروعه في هجمة كبرى علينا ها هنا...»

وعرفت أنهم أعدو شحنة أخرى إلى الجيش الذي يلتف حول رجالنا»³.

¹ _ المصدر: ص 229.

² _ المصدر نفسه: ص 178.

³ _ المصدر نفسه: ص 215.

رغم العداوة بين البلدين إلا أنها بحق وقفت إلى جانب الثوار كسائر الجزائريات، وقد جاءت لنتقم لزوجها وللوضع الذي آلت إليه بعد وفاته، حيث خاطرت بنفسها من أجل نجاح خطة عزام في مقتل بير: «سيمون: لا تنسى الليلة يا عزام...»¹.

تحكي سيمون لهند وعزام قصة وحشية المستعمر ووفاة زوجها، ومعاناتها مع مسؤولية البنت تقول: «سيمون: (مستمرة) وبعد ثلاثة أعوام هزمتنا الهند الصينية..

وقرأت كلاما آخر عن شرف فرنسا الإفريقية !

وقرأت كذلك أن ملايين البسطاء هنا وهناك وحتى في وطني نفسه حتى الدهماء.

كانوا يعتبرون فرنسا قد شنت في الشرق الأقصى ما يدعى بالحرب القدرة !

ويسمون ضحايا الشهداء هناك: خرافا سيقت للذبح !

أو همجا سفاحين سطو بالغي على أرض حرة !

وذكرت فرنسا المحتلة !

أما ضحايانا الشهداء تشيعهم لعنات بلاد محتلة كضحايا النازي في وطني؟

هل زوجي المسكين هذا استشهد في اللعنة؟

وأنا؟ هل زوجة سفاح أم زوجة بطل مستشهد؟

ودموعي وفجيرة قلبي فيه؟

أجنون كانت أم حكمة؟

ويتم الطفلة من بعده؟ هل كان كذلك أكذوبة !

وذهبت للمسؤولين وشكوت لهم أنني بعت ما في البيت...

والطفلة تمرض مع هذا من سوء التغذية...»².

¹ _ المصدر: ص 216.

² _ المصدر نفسه: ص 213_ 214.

«هند: لكم عانيت !

عزام: أجل.

سيمون: (مستمرة) قالوا لي: هي بنت بطل حق.

لكننا نحن خسرنا الحرب... وعلينا أن نحتمل الوضع !

فبصقت عليهم ومضيت للشارع أصرخ في الناس:

فليسقط تجار الموت، فليسقط صناع الياس !

ورموني في السجن شهورا ولما حررت أخيرا.

وجدت الطفلة قد ماتت !¹.

«هند: المسكينة !

سيمون: (تتماسك وتبدو امرأة قوية)

لكني الآن هنا أغنى من كل القواد فقد صممت على ألا أعرف هذا الجوع اليأس بعد»².

«سيمون: ولكي لا يحدث لامرأة ما عانت سيمون، فتعرف بعد فوات الوقت مصيبتها..
وخديعتها..

وأن المسؤولين هنالك من أعرق تجار الدم..

فأنا الآن هنا معكم.

دفاعا عن شرف فرنسا ومصير الزوجات جميعا... ودفاعا عن أطفال فرنسا...»³.

من خلال قولها هذا تفصح عن انضمامها إلى الثورة الجزائرية، وكذلك تفضح حكومة فرنسا،
وتتحدى المستعمر فتقول:

¹ _ المصدر: ص 214

² _ المصدر نفسه: ص 215.

³ _ المصدر نفسه: ص 215.

«سيمون: (تضحك بمرارة) أنا كالجيفة ..

حيث أكون تحلق من فوق الغراب..

وتنبت من حولي الديدان!»¹.

تحملت سيمون الإهانة والألم من أجل ابنتها أولا ومن أجل وطن ليس بوطنها ثانيا، وهدفها من كل هذا هو الانتقام من فرنسا الغاشمة ومن حكوماتها التي لم تبالي لأمرها حين وفاة زوجها الذي ضحى بنفسه من أجل فرنسا.

¹ _ المصدر: ص 226.

الخلاصة:

إن ظاهرة الأنثوي والوطني في هذه المسرحية، جد متصلة فيما بينها، ويتضح ذلك في الأدوار والمهام التي كلفت بها كل شخصية أنثوية.

فجسدت الثورة الجزائرية في وسط الجو الأنثوي بكل تقنياتها وفنياتها، فكانت الأنثى سندا للرجل وشريكه الثاني، تحيا بين التدمير والتعذيب، تسهر على رسم الخطط وتسعى إلى تنفيذها بحرص تام على نجاحها، تحملت عبء الثورة والتعذيب من أجل ضمان واسترداد حرية وطنها المغتصب.

وعليه فإن المسرحية في صورتها العامة قد ابتعدت عن المبالغة والتهويل الشديد في تصوير البطولات والتضحيات، بل إنها اتسمت بالواقعية الفنية.

خاتمة

خاتمة.

التاريخ هو روح الأمة وعنوان تقدمها وعظمتها، لأنه يصور التجربة الإنسانية حركة وقولا، فينقل لنا الأحداث بصورتها الحقيقية لا تضليلا فيها، وعليه فالتاريخ من أقوى الفنون أثر ووقع في النفوس. ولقد كان لتاريخ الجزائر وقعا لا نظير له في إشعال قرائح العديد من الأدباء العرب والغرب، وفيهم من كتب عن الأنثى ومعيشتها لمرارة الاستعمار وقسوته، وحالة الشعب وواقع الثورة، فالمرأة (الأنثى) قدمت الكثير والكثير لمجتمعها وتحملت الهم والغم، فكانت مثالا للشجاعة والتضحية والبطولة والتحدي، كما تعرضت إلى السجن والاعتقال والتعذيب والتنكيل والاعتصاب، فكانت مثالا لكل نساء العالم في التضحية والفداء.

حاولت من خلال هذه الدراسة أن أحيط بعض الشيء بالموضوع، ولكن لا يمكنني الجزم بأنني أحطت بجميع جوانبه ككل، لأن هناك دائما ما هو عصي على الضبط والتحديد، لكنني سعت إلى ما استطعت إليه سبيلا، لأقف على جملة من النتائج اعتبرتها حوصلة لبحثي هذا والمتمثلة في:

✓ إن الأنثى مصدر تغير ومصدر إبداع عند الفلاسفة.

✓ ذات اهتمام شديد عند علماء النفس.

✓ هي محور المجتمع وعصبه عند علماء الاجتماع، ومصدر إلهام عند الأدباء .

أما صورة الأنثى في الثقافات اتخذت وجهين:

✍ في الثقافة الغربية: عند اليهود (التوراة) اتخذت معنى اللعنة التي تحملها إياها حواء إلى يوم القيامة

✍ عند دارسي الغرب خاصة فوكوياما، هي السبب الأول في انهيار الحضارات الغربية وهي الحاكمة مستقبليا

في حين الأنثى في الثقافة العربية شملت:

➤ (الإسلام) من خلال القرآن الكريم الذي أعطى للأنثى مكانة جد قيمة تمثلت في إعادة الحياة لها بالإضافة إلى منحها أمور أخرى كالميراث.

➤ أما السنة النبوية الشريفة فجاءت بنفس أحكام القرآن الكريم، حتى تقوى مكانة وتعزيزها في نفوس المسلمين.

➤ التراث العربي الذي مثل منبع لأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة والأمثال النبيلة، التي يقتدي بها الأجيال ويسيروا على نهجها.

فمثلها في الدراسات الأدبية العربية كل من:

✍ نزار قباني الذي صور معاناة المرأة وتحملها للمتاعب، فجعل منها الوطن والأم والزوجة والحبيبة.

✍ يربطها عبد الوهاب البياتي بالوطن.

✍ صورها محمود درويش في جل قصائده لصيقة الحنين والحب والأم والاعتراب، كما جسدها في صيغ موجهة إلى الزوجة والوطن.

✍ زواج راشد حسين بين حب الوطن وحب الحبيبة.

جسدت شخصيات المسرحية الأنثوية الوطني والأنثوي في المسرحية، وكانت بطلتها جميلة بوحيرد التي صنعت تاريخ الثورة كلها بما تحمله من قيم التحرر والرفض والتضحية والفداء والمقاومة والتحدي.

إن ظاهرة الأنثوي والوطني في هذه المسرحية جد متصلة فيما بينها، ويتضح ذلك في الأدوار والمهام التي كلفت بها كل شخصية أنثوية.

فجسدت الشخصيات الثورة الجزائرية في وسط الجو الأنثوي بكل تقنياتها، فكانت الأنثى سنداً للرجل وشريكه الثاني، تحيا بين التدمير والتعذيب تسهر على الخطط، وتسعى إلى تنفيذها ونجاحها. وعليه فإن المسرحية في صورتها العامة قد ابتعدت عن المبالغة والتهويل الشديد في تطوير البطولات والتضحيات بل اتسمت بالواقعية الفنية.

إن مسرحية "مأساة جميلة" للكاتب عبد الرحمن الشراوي مسرحية شعرية تقع في حوالي 240 صفحة من الحجم المتوسط، وتتألف من خمسة فصول مقسمة إلى مناظر متفاوتة من الجزائر العاصمة

زمن الثورة التحريرية، حيث كان حي القصبة العتيق معقلا للمجاهدين، وبؤرة للعمليات الفدائية وللصراع الدائر بين الثوار والقوات الاستعمارية، فالمسرحية تراهن على تشخيص الثورة الجزائرية بروح واقعية من خلال استلهاهم قصة البطلة جميلة بوحيرد ورفاقها الثوار، فتبرز عظمة الثورة الجزائرية وما تستوحيه من تضحية وفداء، الذي بذله لحرية الوطن واستقلاله، لقد ألقت المسرحية الضوء على صراع أبناء وبنات الجزائر إبان الثورة التحريرية وكشفت وحشية الاستعمار.

تبدأ أحداث المسرحية بالتجمع ورسم الخطط وتبادل الآراء والأفكار، ويعبر كل واحد عن وجهة نظره للمستعمر الغاشم، ثم تنتقل الأحداث بعدها إلى تجسيد تلك الخطط والأهداف مع العزم والإصرار على تحقيق الهدف، وبعد ما تنتقل إلى وصف المجاهدين وهم في سجن برابروسة يتألمون ويطلبون الرحمة والاستغاثة، وقلوبهم كلها تشع بالأمل والاستقلال وهنا تقترب النهاية فمنهم من استشهد ومنهم من عذب بطرق بشعة إلى حد الجنون، ومنهم من بقي حيّا يحمل هذه الآثار.

فالفضل وكل الفضل يعود إلى هؤلاء الأبطال الذين رفعوا لواء الحرية والاستقلال، فهم يستحقون كل الشكر والعرفان، ومهما نعبر ونقول يعجز اللسان عن مكافأة جميلهم.

وفي الختام أود بعث تحية إكرام وإجلال لشهدائنا الأبرار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً: المصادر:

عبد الرحمن الشوقاوي، مأساة جميلة أو مأساة جزائرية، دار المعارف، مصر، دط، 1962.

ثانياً: الكتب الدينية:

1_ كتاب العهد الجديد، دار النشر جمعية الكتاب المقدس، دط، لا ت.

2_ الكتاب المقدس (كتاب الحياة)، ترجمة تفسيرية، ط1، 1988.

ثالثاً: المعاجم:

1_ الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 2، دط، دت.

2_ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الصورة، الجزائر، ج1، دط، دت.

3_ فؤاد أفظام البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، ط 43، دت.

رابعاً: المراجع:

أ_ الكتب العربية:

1_ إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م_1424هـ.

2_ التهامي الماني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، دار صامد للنشر، بيروت، ط2، 2004.

3_ حسن حسين، المرأة وقضايا معاصرة، دار مكتبة الإسرائ، بيروت، ط1، 2006.

4_ حسين أحمد سليم، كلمات للمرأة في الجمال والحب، دار الكتاب الحديث للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996م_1416هـ.

- 5_ عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.
- 6_ عبد الرحمن محمد الوصفي: نزار قباني شاعر سياسي، دار الفكر الحديث للنشر، ط2، 2002م.
- 7_ سامي يوسف أبو زيد: الأدب العربي الحديث (الشعر)، دار اليسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2014م_1435هـ.
- 8_ فاطمة عبد الله الوهيني: المكان والجسد والقصيدة-الواجهة وتحليلات الذات-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2005.
- 9_ مازن مطبقاني: صورة من حياة المرأة في الغرب، دار الهدى للنشر، ط1، 1426هـ_2005م.
- 10_ ماهر البطوطي الهاني: ألف ليلة وليلة والآداب العالمية، مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا، القاهرة، ج1، ط1، 1426هـ_2005م.
- 11_ مایسة أحمد النیال: فی سیکولوجیة المرأة، دار المعرفة الجامعية، بيروت، دط، 2002.
- 12_ محمد بن جميل زينو: تكريم المرأة في الإسلام، دار القاسم، بيروت، دط، دت.
- 13_ محمد علي حسن: الخلاف بين التوراة والقرآن، دار المعرفة للنشر، بيروت، دط، دت.
- 14_ معن خليل عمر: علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1994 .
- 15_ محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 1997 .
- 16_ محمد داود: الرواية الحديثة -كتابة الآخر والهناء-، منشورات 2006.
- 17_ منير الحافظ: الجنسانية وأسطورة البدء المقدس، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2008 .
- 18_ نزار قباني: قالت لي السمراء، منشورات نزار قباني، بيروت، ط34، 1993.
- 19_ نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، مج1، ط2، 1983 .

20_نزار قباني: يوميات امرأة لا مبالية، منشورات نزار قباني، بيروت، ط16، 1993.

ب_الكتب المترجمة:

1_أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمة: إبراهيم خمارة، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، لات.

2_بن يوسف بن خدة: الجزائر العاصمة (المقاومة 1956_1957)، ترجمة: حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005.

3_بيدبا، كلية ودمنة، ترجمة: عبد الله بن المقفع، المكتبة الثقافية للنشر، بيروت، دط، دت.

خامسا: الملتقيات والمجلات والرسائل الجامعية:

1_محمد خان، السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، 15_16 أبريل، 2002.

2_المديني أحمد: حضور الثورة الجزائرية في الوجدان الأدبي بالمغرب، مجلة الثقافة، الجزائر، السلسلة الثانية، عدد 15 سبتمبر. 2007.

3_فتحي جوهر فرمزي: مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 2/15، المجلد الثامن، 2014.

4_هناء عبد الرحمن محمد النجار: الخطاب التربوي الموجه للمرأة المسلمة كما جاء في السنة النبوية — دراسة تحليلية—، مخطوطة رسالة الماجستير في قسم أصول التربية بكلية التربية، قسم التربية الإسلامية، 2009.

5_قصي صالح الدرويش: جميلة بوحيرد، الحدث الدولي والعربي، عدد 24، 2002.

6_مختار العربي: الحوار المتمدن، العدد 1052، 2004/12/19، الساعة 11:21، المحور: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات.

7_نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر _لونجمان_ ط1، 2003.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

1_حسينة حماميد: شهادات وحقائق عن نضال جميلة بوحيرد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011،
عن الموقع: <http://www.univ-skikda.dz>.

2_ويكيبيديا: الموسوعة الحرة.عن الموقع: <http://ar.wikipedia.org>

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

مقدمة:.....أ-ج

I: مدخل: بين الأنوثة والذكورة.

تمهيد:.....6

1_الأنثى في المعاجم.....9-7

2_الأنثى عند الفلاسفة.....10-9

3_الأنثى في علم النفس.....11-10

4_الأنثى في علم الاجتماع.....12-11

5_الأنثى والسياسة.....13

6_التكامل الواعي بين الأنثى والذكر.....14

II: الفصل النظري: صورة الأنثى في الثقافات:

أولاً: في الثقافة الغربية.

1_في الديانات السماوية.

أ_الأنثى (المرأة) في التوراة.....20-16

ب_الأنثى في الإنجيل.....24-20

2_الأنثى في الدراسات الغربية:

أ_عند فوكوياما.....26-24

ثانيا: في الثقافة العربية:

- 1_الأنثى في القرآن الكريم 26-29
- 2_الأنثى في السنة النبوية..... 30-33
- 3_الأنثى في التراث العربي..... 34-37
- 4_في الدراسات الأدبية العربية:..... 38
- أ_ نزار قباني..... 38-44
- ب_ عبد الوهاب البياتي..... 45-46
- ج_محمود درويش..... 46-48
- د_راشد حسين..... 49-50

III: الفصل التطبيقي: الوطني والأنثوي في مسرحية مأساة جميلة:

- تمهيد..... 52
- أولا: سيميائية العنوان..... 53
- 1_المأساة..... 54-56
- 2_جميلة..... 56-57
- ثانيا: التعريف بجميلة بوخيرد..... 58-60
- ثالثا: سيميائية الشخصية..... 61
- 1_شخصية جميلة..... 61-66
- 2_شخصية أمينة..... 66-68
- 3_شخصية هند..... 69-72
- 4_شخصية منى..... 72-75

78-75.....	5_شخصية سيمون.....
79.....	الخلاصة
83-81.....	خاتمة.....
88-85.....	قائمة المصادر والمراجع.....
92-90.....	الفهرس.....